

ظاهرة الغلو والإرهاب الديني
حقيقتها وأسبابها وعلاجها
وجهود المملكة في مكافحتها

اعداد

علي بن عبدالعزيز بن علي الشبل

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } [آل عمران: 102].

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [النساء: 1].

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ❖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [الأحزاب: 71, 70].

أما بعد/ فقد بليت الأمة الإسلامية من الصدر الأول في عهد الخلفاء الراشدين إلى هذا العصر الحاضر ببلايا كثيرة من أشدها فتكاً وأثراً، تسلط الجهال من أبنائها عليها بالجهل والاندفاع والغوغائية والعنف من خلال مظاهر الغلو والتشدد والإرهاب المذموم الذي ولد عنفاً أثمر تكفيراً وتبديعاً بغير علم ولا وجه حق حتى أنتج ذلك قتلاً وتدميراً وتفجيراً واستباحة الدماء والأموال والأعراض المعصومة بعصمة الإسلام، أو عصمة العهد والأمانة والذمة.

وهذا ما أخبرنا به نبينا محمد ﷺ . الذي ما ترك خيراً إلا دلّ أمته عليه ولا شراً إلا حذرنا منه . عن هذه الفتن والأخطار في أحاديثه التي خرجت مخرج أعلام النبوة بالإخبار عن أشراط الساعة، من فتن وأخبار الخوارج والبغاة ومناهجهم ومسالكهم وما ينتج عنها وللأسف الشديد أصابت الدعوة الإسلامية المعاصرة، وبلادنا وبلاد المسلمين من ضرر .

وشرر هاتيكم الانحرافات العقدية الناتجة عن عقائد خبيثة . ولا أقوال أفكاراً أصابت الأمة والمجتمعات الإسلامية بمصائب جمّة لا تزال تثن من ويلاتها.

فإن أهم ما يميز العقيدة الإسلامية , مع كونها محكمة وعادلة والإهية التشريع فإنه مع ذلك كله وغيره تتميز بالعدل والوسطية والإنصاف لأتباعها وغيرهم ولذا أحببت المشاركة بيان بعض جوانب وسطية أهل السنة والجماعة في أبواب الاعتقاد والتشريعة وأثر ذلك على أهل السنة والجماعة وعلى المسلمين بشكل عام وغيرهم ممن يتأثرون بهم وهو أمر ذوبال يشغل جزءاً كبيراً من هم الأمة الإسلامية ويمسُّ شرائح وطبقات عريضة من بني آدم ! وهذا الإسلام دين وسط بين الأديان, والمسلمون حقاً هم الوسط بين الأمم , وكذا أهل السنة والجماعة : أهل الاستقامة هم الوسط بين فرق الإسلام , قال سبحانه في آية البقرة : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } [البقرة: 143] , فالأمة الوسط الذين هم على العدل والقسط وعلى منهاج الاستقامة والسنة .

وفي هذا البحث أحاول إبراز معالجة الإسلام لمشكلة الغلو في باب الاعتقاد وفي الأحكام العلمية مبرزاً آثار الموضوع وسلبياته, ومناهج العلماء من السلف الصالح في كيفية علاج بعض هاتيكم الظواهر.

ولهذا جاء هذا البحث الموسوم بـ " ظاهرة الغلو والإرهاب الديني . حقيقتها, وأسبابها, وجذورها, وعلاجها , وجهود المملكة في مكافحتها".

فجاء البحث مشتملاً على سبعة فصول , متضمنة مباحث عديدة , تفصيلها

كالتالي:

الفصل الأول حقيقة الغلو والإرهاب والتطرف والعنف.

المبحث الأول: معنى الغلو وحقيقته.

المبحث الثاني: معنى الإرهاب وتحديد مصطلحه.

المبحث الثالث: معنى التطرف.

المبحث الرابع: معنى العنف.

المبحث الخامس: العلاقة بين الغلو والتطرف والإرهاب والعنف.

المبحث السادس: الفرق بين الاستقامة وبين الإرهاب والتطرف.
الفصل الثاني: موقف الإسلام من الغلو والإرهاب المذموم ونحوهما.

الفصل الثالث: جذور الغلو والإرهاب والتطرف والتاريخيه.

المبحث الأول: الغلو والتطرف الديني لدى اليونان.
المبحث الثاني: الغلو والتطرف الديني لدى أهل الكتابين.

الفصل الرابع: جذور الغلو والتطرف وآثاره عند المسلمين.

المبحث الأول: علاقة نشأة الغلو بالديانات السابقة.
المبحث الثاني: غلو الخوارج, وآثاره.
المبحث الثالث: غلو المعتزلة وآثاره.
المبحث الرابع: الغلو في مسألة الأسماء والأحكام.

الفصل الخامس: أسباب الغلو والإرهاب المذموم.

الفصل السادس: العلاج العقدي للغلو والإرهاب المذموم.

المبحث الأول: آثار الغلو العملية ومنهج أهل السنة والجماعة في علاجها.
المبحث الثاني: نماذج من علاج السلف للغلو.
المبحث الثالث: الوسطية وآثارها.
المبحث الرابع: أهم أساليب علاج الغلو.

الفصل السابع: الجهود العلمية في المملكة لمكافحة الغلو.

هذا وقد ثبت في الصحيح عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: كان الناس يسألون

النبي ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه.. الحديث. ويقول الناس في أمثالهم: ((الزيادة أخت النقصان))، بل ربما يكون ضرر الغلو والزيادة على الدين وصاحبه أشد وأعظم من ضرر النقص والتقصير؛ لذا حذرنا المولى سبحانه وتعالى، وحاذرنا الغلو في الدين في آيات كقوله من آخر سورة النساء: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ } [النساء:171] ، وكقوله في سورة المائدة: { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ } [المائدة:77].

كما نھانا سبحانه عن طريق الطغيان في غير ما آية: منها قوله من آخر سورة هود: { فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [هود:112].

ومن السنة في النهي عنه ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة مرفوعاً إلى النبي ﷺ قوله: ((إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة، وفي رواية أخرى زاد:)) والقصد القصد تبلغوا)) .

وحديث ابن عباس المشهور في جمع حصي الجمار قوله ﷺ له: ((إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)) رواه أحمد وبعض أهل السنن (1) . وفي هذا ما وصف عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أصحاب محمد ﷺ حيث قال لما رأى ما أحدث من الأمور: ((أيها الناس، من كان منكم مستنأ فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة. أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً. قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من دينهم وأخلاقهم فإنهم كانوا على

(1) سيأتي تخرجهما إن شاء الله .

الهدى المستقيم)) (1) .

لهذا كله، ولما جرّه الغلو على المسلمين في دينهم، قولاً وعملاً، وقبل ذلك اعتقاداً وواقعاً وفكراً ومنهجاً، منذ عهد الصحابة رضي الله عنهم مروراً بفترات تاريخنا المختلفة إلى عصرنا المشهود، وما جرّه ذلك من الأخطار العظيمة، والمصائب الجسيمة، والمناهج المتباينة على حياتهم وأحوالهم العلمية والفكرية والاجتماعية والسياسية، وقبل ذلك وبعده الحال الدينية، من الغلو في العبادة والغلو في المعصية، وفي البدعة، والغلو في العادة

ولما رأيت من الخلط العجيب بين التمسك بالدين والتزامه وبين دعوى الغلو والتطرف والأصولية، وهو الناشئ من الجهل بأحدهما أو بهما معاً، وعدم العود بالغلو إلى أصوله الحقيقية وأسبابه الواقعية التي منها نشأ وتفرع في صور عديدة بين المسلمين وغيرهم. رأيت المشاركة في هذه القضية بهذا المختصر، الذي جمع في متناثر مباحثه وقضاياها: حد الغلو وحقيقته، وتاريخه ونشأته، وعلاقته بالأهم قبلنا، وأسبابه، وما ورد في الشرع الحنيف من التحذير منه وذمه.

هذا مجمل محتواه، فإن أصبت فيه فمن توفيق ربي وهدايته، وإن كان غير ذلك فمني ومن الشيطان، وأعوذ بالله منه، وأستغفر الله وأتوب إليه، وأشكر هاهنا مشايخ كراماً تفضلوا بالاطلاع على المختصر وسددوه وأوصوا بطبعه ونشره، فجزاهم المولى خير الجزاء وأوفره .

هذه مضامين هذا البحث وفصوله ومباحثه ، فإن وُفقت للصواب والعدل من القول، فهو من توفيق ربي وهدايته ، وإن كان غير ذلك فمن نفسي والشيطان ، وأعوذ بالله من ذلك واستغفر ربي وأتوب إليه . والله المسؤول أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجه، ومقرباً للزلفى لديه ، وهو سبحانه الموفق والهادي إلى سواء السبيل ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى أهل وصحبه أجمعين .

الفصل الأول حقيقة الغلو والإرهاب والتطرف والعنف.

(1) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، ورواه غيره .

المبحث الأول: معنى الغلو وحقيقته:

- بالرجوع إلى المصادر والمعاجم اللغوية يتضح أن الغلو هو : مجاوزة الحد وتعديه .
- ❖ قال الجوهري في الصحاح :
- ((غلا في الأمر يغلو غلواً , أي جاوز فيه الحد)) اه .
- ❖ وقال الفيروزآبادي في القاموس :
- ((غلا غلاءً فهو غالٍ وغَلِيٍّ ضد الرخص ... وغلا في الأمر غلواً جاوز حدّه)) اه .
- ❖ ووافقه الزبيدي في تاج العروس .
- ❖ وقال ابن منظور في اللسان :
- ((... أصل الغلاء : الارتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء يقال : غاليت صدق المرأة أي أغليته . ومنه قول عمر τ : ((ألا لا تغالوا في صدقات النساء)) وفي رواية : ((لا تغالوا في صدق النساء)) . أي لا تبالغوا في كثرة الصدق .
- وغلا في الدين والأمر يغلو غلواً , جاوز حدّه .
- قال : قال بعضهم : غلوت في الأمر غُلواً وغلانيةً وغلانيةً إذا جاوزت في الحد وأفرطت فيه , ويُقال للشيء إذا ارتفع : قد غلا .
- قال ذو الرمة :
- فما زال يغلو حبُّ ميَّةٍ عندنا ويزداد حتى لم نجد ما نزيدها)) اه .
- ❖ وقال الفيومي في المصباح المنير :
- ((... وغلا في الدين غُلواً من باب قعد وتصلب وتشدد حتى جاوز الحد وفي التنزيل : { لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ } (1) وغالى في أمره مغالاة بالغ)) (2) اه .
- ❖ وقال ابن فارس في المعجم :

(1) جزء من آيتي النساء 171 والمائدة 77 .

(2) كلهم في مادة غلا .

((غلوى : الغين واللام المعتل أصل صحيح في الأمر يدل على ارتفاعٍ ومجاوزةٍ قدرٍ , يُقال : غلا السعر يغلو غلاً وذلك ارتفاعه , وغلا الرجل في الأمر غُلوًّا إذا جاوز حدّه))
اهـ . وكذا نحوه في الجمل (1) .

❖ فمما سبق يتبين أن الغلو في سائر استعمالاته يدل على الارتفاع والزيادة ومجاوزة الأصل الطبيعي أو الحد المعتاد .

ومنه قوله ρ في حديث أبي ذر : ((.... أي الرقاب أفضل قال :)) أغلاها ثمناً وأنفعها عند أهلها)) (2) متفق عليه .

وحديث النعمان بن بشير τ أن النبي ρ قال : ((أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل على أخمص قدميه جمرتان يغلي منه دماغه كما يغلي المرجل)) (3) متفق عليه .

❖ فغلا الثمن : إذا ارتفع وزاد سعره .

❖ وغلت القدر : إذا زادت حرارتها وارتفعت .

❖ وغلا في مشيه : إذا أسرع وزاد فيه .

❖ وتغالى اللحم : ارتفع وذهب , ومنه قول لبيد بن أبي ربيعة :

فإذا تغالى لحمها وتحسرت وتقطعت بعد الكلال حذافها

وعليه فحقيقة الغلو :

هو : الزيادة ومجاوزة الحد الشرعي الواجب .

قال تعالى : { لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ } [النساء :

[171]

(1) في الجمل مادة غلا والمعجم مادة غلوى .

(2) رواه البخاري في كتاب العتق . باب أي الرقاب أفضل , ورواه مسلم في كتاب الإيمان . باب كون الإيمان بالله أفضل الأعمال رقم 84 .

(3) رواه البخاري في كتاب الرقاق . باب صفة الجنة والنار , ومسلم في كتاب الإيمان . باب أهون أهل النار عذاباً

وقال سبحانه في آية المائة : { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ } [المائدة : 77]

وقال سبحانه في آيات عديدة جاءت في النهي عن الطغيان وهو غلو في الغي كما قال تعالى في آخر سورة طه لبي إسرائيل : { وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي } [طه : 81] , وقوله عن فرعون وملئه في غير ما آية : { اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى } [النازعات : 17] , وقال عن الخاسر صاحب الجحيم : { فَأَمَّا مَنْ طَغَى (37) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا } [النازعات : 37 , 38] الآية , وقال في آخر سورة هود : { فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [هود : 112] .

❖ ومما ورد في السنة أيضاً : ما رواه أحمد بإسناده عن عبد الرحمن بن شبل قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((اقرأوا القرآن ولا تغلوا فيه , ولا تجفوا عنه , ولا تأكلوا به)) (1)

وفي حديث ابن عباس ؓ قال : قال لي رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على ناقته : ((القط لي حصى)) , فلقطت له سبع حصيات من حصى القذف , فجعل يفضهن في كفه ويقول :

((أمثال هؤلاء فارموا , ثم قال : يأبها الناس إياكم والغلو في الدين ؛ فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)) . رواه أحمد وابن ماجه والحاكم وغيرهم (2) .

(1) "الفتح الرباني" 28/18 .

(2) ❖ رواه أحمد في المسند كما في "الفتح الرباني" 169/12 , كتاب الحج والعمرة . باب سبب مشروعية رمي الجمار وحكمها , ورواه النسائي . كتاب المناسك . باب قدر حصى القذف , وكذا ابن ماجه في باب التقاط الحصى .

❖ ورواه الحاكم في "مستدرکه" 466/1 وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه عليه .

❖ وقال النووي في "المجموع" 127/8 : صحيح رواه البيهقي بإسناد حسن صحيح وهو على شرط مسلم رواية عبد الله بن عباس عن أخيه الفضل .

❖ ووراه النسائي وابن ماجه بإسنادين صحيحين , إسناد النسائي على شرط مسلم اه . ==

فمما سبق يتبين أن الكتاب والسنة يخصصان عموم اللغة , وأن الغلو هو : ((الإفراط في مجاوزة المقدار المعترف شرعاً في أمرٍ من أمور الدين)) .

المبحث الثاني: معنى الإرهاب وتحديد مصطلحه.

وهو أيضاً مصدر مأخوذ من رَهَب كعلم يرهَب رهباً ورهباباً وأرهاباً بالفتح والكسر , وهو الإخافة والتخويف (1) .

حيث يدور معنى الإرهاب على شدة الخوف والتخويف إن كان على الفرد أو على الجماعة وهو في حقيقته وحكمه نوعان :

(1) . إرهاب مشروع بصريح القرآن في آية الأنفال في قوله تعالى : { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60) وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [الأنفال : 60-61] .

فإن إخافة العدو الكافر المعاند لدعوة الله بالجهاد في سبيل الله وإرجافه بالعدة والقوة من مقاصد الجهاد الإسلامي , ليكف شره , وينتهي عن ظلمه , ولعله أن يهتدي إلى دين الله عزوجل . وهذا الحكم خاص بالمحاربين من الكفار أ والبغاة .

==

❖ وقال شيخ الإسلام في "الوصية الكبرى" : هو حديث صحيح . ونقل عنه الشيخ صالح البليهي رحمه ((السلسيل في معرفة الدليل 367/1)) أنه قال : على شرط مسلم , ولم أقف عليه !

❖ وذكره ابن حجر في "التلخيص الحبير" 387/7 حيث حقق من كان رديف النبي p والتقط له الحصى : عبد الله أم الفضل , وصوّب أنه الفضل . وهو تحقيق نفيس , وكذا الكلام النووي السابق , وفي فتح الباري 291/13 : وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم من طريق أبي العالية عن ابن عباس .

(1) انظر " القاموس " و " شرحه تاج العروس " , و " لسان العرب " , و " الصحاح " , و " المصباح المنير " , و " معجم مقاييس اللغة " . مادة (رهَب)

(2) . إرهاب غير مشروع , بل هو محرم وممنوع , وهو في تخويف الأمنين بإرهابهم وإدخال الرعب والفرع فيهم , سواء كانوا مسلمين أو مستأمنين أو معاهدين أو أهل ذمة أو غيرهم من الكافرين غير المحاربين , فهو على المسلمين حرابة وعلى غيرهم ظلم ! وهو في الجميع إفساد في الأرض ما جاء النهي صريحاً في القرآن والسنة وفي إجماع العلماء .
 فمناط ذلك على الظلم , حيث تخويف الأمن وإرهابه ظلم واعتداء , وهو محرم بإجماع الملل والشرائع السماوية . فقد روى الإمام أحمد وغيره بإسناد صحيح عن أبي ذر τ يرفعه إلى النبي ρ أنه قال : قال الله عزوجل :

((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا)) .

وفي صريح القرآن قوله تعالى من سورة يونس : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ } [يونس: 44] وقوله في سورة الممتحنة : { لَا يَنْهَأَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } [الممتحنة : 8] .

هذا فضلاً عما ورد من أدلة شريفة في وجوب الوفاء بالعهد وابتاء الوعد , وتحريم قتل النفس بغير حق , وتحريم قتل المرأة والوليد والراهب والشيخ الكبير من الكفار .

❖ تحديد مصطلح الإرهاب المعاصر :

وقد صدر في تحديده بيان عن مجمع الفقه الإسلامي في رابطة العالم الإسلامي بمكة في دورته السادس عشرة , المنعقدة في شوال من عام 1423هـ بمكة المكرمة , حيث حدّدوا الإرهاب بتحديد سبقوا به جهات عالمية عديدة غالطت في معناه ودلالاته , وجاء في بيانهم أن :

((الإرهاب هو العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغياً على الإنسان في دينه , ودمه , وعقله , وماله , وعرضه , ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق , وما يتصل بصور الحرابة وإخافة السبيل وقطع الطريق , وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي , ويهدف إلى إلغاء

الربح بين الناس , وأو ترويعهم بإيذائهم , أو تعريض حياتهم , أو حرمتهم , أو أمنهم, أو أقوالهم للخطر , ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد مرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة , أو تعريض أحد الموارد الوطنية , أو الطبيعية للخطر .

فكل هذا من صور الفساد في الأرض التي نهى الله سبحانه تعالى المسلمين عنها قال تعالى : { وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } [القصص : 77] (1)

المبحث الثالث: معنى التطرف.

التطرف هو تفعل . بتشديد العين . من طرف يطرف طرفاً بالتحريك , وهو الأخذ بأحد الطرفين والميل لهما : إما الطرف الأدنى أو الأقصى (2) , ومنه أطلقوه على الناحية وطائفة الشيء ..

ومفهوم التطرف في العرف الدارج . في هذا الزمان . يُطلق على الغلو في عقيدة أو فكرة أو مذهب أو غيره , ولهذا لا يختص به دين أو جماعة أو حزب .

ولهذا فالتطرف يُوصف به طوائف من اليهود ومن النصارى , فثمة أحزاب يمينية متطرفة أو يسارية متطرفة . فقد وصفت بالتطرف الديني والحركي والسياسي .
ووصف الغلو بالتطرف له وجه المسوغ له بأخذ أحد الطرفين , كما قال الأول :
لا تغلُ في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميئ

(1) ينظر البيان الصادر من مجمع الفقه الإسلامي برابطة العالم الإسلامي بمكة في دورته 16 , المنشور في وسائل الأعلام المقروءة والمسموعة والمرئية .

(2) " القاموس المحيط , و " شرحه تاج العروس " و " لسان العرب " و " معجم مقاييس اللغة " , و " الصحاح " و " المصباح المنير " مادة (طرف) .

ولكن الوصف الشرعي للتشدد في الدين والغلو فيه يجب أن يكون مرجعه إلى الشرع نفسه لا اصطلاح الناس ومفاهيمهم واطلاقتهم . فوصف الغلو والمغلاة والمغالي هو الوصف الشرعي , كما دل عليه حديث ابن عباس τ أن النبي ρ قال في الحج : ((أمثال هؤلاء فارموا , وإياكم والغلو في الدين , فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)) رواه أحمد وابن ماجه والحاكم وصححه . (1)

المبحث الرابع: معنى العنف.

بالرجوع إلى المعاجم اللغوية في مادة العنف وُجد أنها مثلثة العين : بالرفع والفتح والكسر وهو ضد الرفق . وهو الشديد في القول والفعل .
وحقيقة العنف أنه نتيجة وثمره للغلو والتطرف والإرهاب الممنوع , في الشدة في قول أو رأي أو فعل أو حال ! وهو ما يُولد ما يسمى بالعنف العقدي , والعنف العلمي والعنف الفكري في الرأي والفهم والتصور !؟

المبحث الخامس: العلاقة بين الغلو والتطرف والإرهاب والعنف.

هذه المصطلحات الأربع بينها علاقه علمية , وعلاقه منهجية ولا سيما في الاستعمالات المعاصرة , إعلامياً واجتماعياً وسياسياً , وقبل ذلك علمياً عملياً .
ولهذا فالغلو . في الحقيقة . أعلى مراتب الإفراط في الجملة . فالغلو في الكفن مثلاً هو المغلاة في ثمنه والإفراط فيه .

والغلو أخصّ من التطرف ؛ إذ إن التطرف هو مجاوزة الحدّ , والبعد عن التوسط والاعتدال إفراطاً أو تفريطاً , أو بعبارة أخرى : سلباً أو إيجاباً , زيادة أو نقصاً , سواء كان غلواً أم لا , إذ العبرة ببلوغ طرفي الأمر , وهو الغلو في قول القائل :
لا تغلُ في شيء من الأمر واقتصد
كلا طرفي قصد الأمور ذميم .

(1) مضي تخرجه في أول التمهيد .

فالغلو أحص من التطرف باعتبار مجاوزة الحد الطبيعي في الزيادة والنقص , في حال النقص يسمى غلواً إذا بالغ في النقص , فيقال : غلا في النقص , كما في قول اليهود جفاءً في حق المسيح ابن مريم عليهما الصلاة والسلام . وكذلك في الزيادة إذا بالغ فيها كقول النصارى في المسيح ابن مريم غلواً

والتطرف : الانحياز إلى طرفي الأمر , فيشمل الغلو , لكن الغلو أحص منه في الزيادة والمجازة , ليس فقط بمجرد البعد عن الوسط إلى الأطراف .

أو بمعنى آخر: كل غلو فهو تطرف, وليس كل تطرفٍ غلواً.

المبحث السادس: الفرق بين الاستقامة وبين الإرهاب والتطرف.

في الواقع لا تلازم بين التمسك بالنصوص والغلو ؛ فقد كان الصحابة رضي الله عنهم أشدَّ الناس تمسكاً واقتضاً لنصوص الشريعة , ومع هذا لم يحصل منهم غلو أو تشديد , خلا في قضايا عينية في حياة النبي ﷺ أرشد عليه الصلاة والسلام أصحابه إليها⁽¹⁾ وعلمهم وبين لهم طريق العبادة المعتدل , فانتهاوا .

وسببه هو موافقة هذا الاستمسك منهم رضي الله عنهم لعلم صحيح , وفهم سليم , وهمة حريصة على العلم والبصيرة , فنجوا من الغلو فضلاً عن الاستمرار فيه , لكن لما بعد الناس عن زمان الأفاضل , وصار الدين غريباً , وأطبق الجهل على كثير من أهل الإسلام , صار المتمسك بسنة المصطفى ﷺ الغاضُّ عليها بنواجذه منبوذاً مُستهزأً به في تلك

(1) كما في خبر عبد الله بن عمرو بن العاص ؓ في إطالة الصوم , المتفق على صحتها . رواها البخاري في كتاب فضائل القرآن , باب كم يقرأ من القرآن , ومسلم في كتاب الصيام , باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به , رقم (1159), وحديث عبد الله بن الشخير في وفد بني عامر وفيه « فقلنا : أنت سيدنا . فقال : السيد الله تبارك وتعالى » . فقلنا : وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً فقال : « قولوا بقولكم أو ببعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان » رواه أبو داود والنسائي بأسانيد جيدة . وما قوله عليه السلام ذلك إلا سداً لطريق الغلو فيه , انظر : فتح المجد 517 .

المجتمعات , وأطلقوا عليه عبارات النبز كالمتمزتين والغالين والمتطرفين والأصوليين والإرهابيين
.... ونحوها من الألقاب التي روجتها بعض وسائل الإعلام عن أعداء الإسلام !
والواقع أن التمسك بنصوص الكتاب والسنة , وفهمها فهماً صحيحاً يعتبر عند هؤلاء
المتهاونين بأحكام الشريعة الغافلين عنها , غلواً وتطرفاً , وذلك بالنظر إلى ما هم عليه من
تفريط ظاهر , وقصور في إظهار منهج الإسلام , جليّ ملموس .
ولنأخذ مثلاً يوضح ماسبق : فدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية أُتِّهت
من كثير من الناس . علماء وغيرهم . بتكفير الناس . الذي هو مظهر من مظاهر الغلو البارزة
. أو أنهم خوارج ونحوها من ألقاب تفيد مجاوزة اعتدال الإسلام وسماحته , ينبزونهم
بألفاظ هي في الشريعة وصف لأقوام متشددين لافقه لهم ولا نظر⁽¹⁾ وهي من ذلك براء
براءة الذئب من دم يوسف U , لكن ما حيلة من شرق بها إلا ذلك .
والملاحظ أن المتمسكين بمدلولات النصوص الشرعية يكونون غلاة متشددين بنسبتهم
إلى المفرطين الذين يحملون الإسلام وصفاً , وعند نسبتهم إلى ميزان الشريعة لا عندهم
معنى التمسك المطلوب , وهو الاستقامة على أحكام الكتاب والسنة .
فالمقصرون يلمزون المتمسكين بالغلو والتطرف والإرهاب أو التشدد , على أن ما هم
عليه هو اعتدال الإسلام وتوسطه , وما أظهوره هو الاعتدال , وهو في الحقيقة ليس كذلك
؛ إذ هو التقصير والتفريط في بعض شعائر الإسلام وأحكامه أما الاعتدال والتوسط فهو في
دين الله ومنهاج دينه , ولا يخفى أن من يتهم البعض بالتطرف أو الغلو ونحوها , غايته
التفجير والتحذير منهم وليس لكونهم متجاوزين لحدود الشريعة ووسطية الإسلام , كما هو
الحال فيمن اتهم دعوة الشيخ السلفية الإصلاحية بذلك !؟
أنعني أن هذه الدعاوى ليست من باب الأسماء والأحكام , أو لتبين معاني شرعية .
بقدر ما هي لأغراض وأهواء ذاتية أو محدودة . فتكون بذلك من تحميل مصطلحات

(1) انظر الشبهات التي أثيرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . وفيها بحث د. عبد الرحمن عميرة وغيره في
: أسبوع الشيخ محمد . المجلد الثاني . وكذا « دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب » للدكتور
العبد اللطيف .

الشارع ما لا تحتمل ، ومن استعمال المعاني الشرعية في الأغراض الشخصية الضيقة والغايات السياسية المحدودة ! .

الفصل الثاني: موقف الإسلام من الغلو والإرهاب المذموم ونحوهما.

لما كان الدين منزلاً من عند باري السماوات والأرض وما فيهما كان سبحانه أعلم بحدود البشر وإمكاناتهم، فشرع لهم ما يناسبهم ويوافق قدراتهم فجاء الإسلام ديناً سمحاً سهلاً، دين يسر دفعت فيه المشقة بالقدرة والاستطاعة (1)، كما قال تعالى: { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ } [البقرة:286].

وإذا كان الدين الإسلامي بهذا الوضع، وكونه دين اعتدال وتوسط وقصد في كل شيء، علم أن الغلو فيه والزيادة على اعتداله والتشدد في قصده، ضلال عن هديه وبعد عن مقاصده، وكذلك في التفريط والتهاون بأحكامه { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [الأنعام:153]. ، وقال سبحانه فيمن خالف صراطه المستقيم فحرم ما أحله الله: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } [المائدة:87]. فعد هذا الفعل من الاعتداء على شرع الله وحكمه وتقديره .

- ومن مقررات عقيدة أهل السنة والجماعة التمسك بالكتاب والسنة والبعث عن مزلات الأقدام في الأفهام والأفعال، كما قال الطحاوي في عقيدته: (ودين الله في الأرض والسماء واحد، وهو بين الغلو والتقصير). وقال: (ونحب أصحاب رسول الله ρ ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم) أه .

وأول ما يعول عليه في التشخيص والعلاج قوله تعالى من آخر سورة هود: { وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لِيُؤْفَيْنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالُهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (111) فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [هود:112] ، ولا شك أن الغلو

(1) من القواعد الخمس الكلية: قاعدة المشقة تجلب التيسير .

طغيان، فهذا تحذير منه سبحانه من طريق الغواية وأمر بلزوم في منهاج الاستقامة فتأمل !
وهذه بعض ما تيسر الوقوف عليه من الآيات والأحاديث التي تحدد معالم موقف
الإسلام من الغلو في الجملة :

1- قال تعالى: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ
اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى
يُؤْفَكُونَ } [التوبة:30].

ويضاهئون: يشابهون ويمثلون، كما هو عند غلاة الرافضة من القول بالحلولية،
والتناسخ وعند غيرهم .

2- وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((هلك
المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون))⁽¹⁾.

المتنطعون هم المجاوزون الحد، المتعمقون الغالون في القول والفعل والفكر. فتوعددهم
النبي عليه السلام بالهلاك وكررها ثلاثاً للتأكيد، ولا أشد من هلاك الدين والله المستعان .

3- وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً :

((لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً
بذراع، فقيل: يا رسول الله كفارس والروم، فقال: فمن الناس إلا أولئك)) . رواه
البخاري ومسلم⁽²⁾ .

قاله النبي ﷺ على سبيل التحذير والنهي عن سلوك مسالكهم واتباعهم، وفي إشارته
إلى فارس والروم: تحذير من ديانة أهل هذين القطرين؛ ففارس مجوس فيهم يهود في
أصبهان، والروم نصارى وفيهم يهود .

وفي حديث أبي سعيد عندهما التصريح باليهود والنصارى، ولا تعارض بين

(1) رواه مسلم في كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، وأبو داود في كتاب السنن، باب لزوم السنة،
وانظر: تيسير العزيز الحميد ص 305-318 .

(2) رواه البخاري في كتاب الاعتصام، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لتبعن سنن من كان
قبلكم)) ومسلم كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى رقم 2669 .

الحديثين. « فمن الناس إلا أولئك؟ » استفهام على سبيل التقرير المتضمن للإنكار، وفيه حصر الضلال والاتباع بأولئك أهل فارس المجوسية، ومنهم دخل على المسلمين باب الفتنة وانفتح على مصراعيه .

4- وعن أنس رضي اله عنه قال: أنه كان يصلي بالمدينة صلاة خفيفة كأنها صلاة مسافر أو قريباً منها فلما سلم قال له رجل: يرحمك الله أرأيت هذه الصلاة المكتوبة أو شيء تنفلته؟ قال: إنها المكتوبة وإنها لصلاة رسول الله ﷺ ما أخطأت إلا شيئاً سهوت عنه، ثم قال: إن رسول الله ﷺ كان يقول: لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديار { ثُمَّ قَفَيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَيْنَا بِعَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ } [الحديد:27].

5- وقال البخاري في صحيحه، باب الدين يسر وقول النبي ﷺ: ((أحب الدين إلى الله الحنيفة السمحة)) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة)) (1) .

الحنيفة ملة إبراهيم عليه السلام، السهلة السمحة الميسورة، قال تعالى: { وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ } [الحج:78] ، قال الحافظ في الفتح 117/1، 118 .

((والمشادة - بالتشديد - المغالبة، يقال: شاده يشاده مشادة إذا قاواه، والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب قال ابن المنير: إن هذا الحديث علم من أعلام النبوة؛ فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع،

(1) البخاري في كتاب الإيمان، باب الدين يسر، وقد شرحه الحافظ ابن رجب في رسالة حافلة اسمها ((بيان المحجة في سير الدلجة)) .

وليس المراد منع طلب الكمال والأكمل في العبادة فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملل أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل « أ هـ .

والسداد هو التوسط وطلب الصواب من غير غلو أو تقصير وعليه دلالة اللغة .
قال ابن رجب في هذا الحديث: « فإن شدة السير والاجتهاد مظنة السامة والانقطاع، والقصد أقرب إلى الدوام، ولهذا جعل عاقبة القصد البلوغ؛ كما قال : من أدلج بلغ المنزل » .

ومنه حديث أنس مرفوعاً: « يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا » (1).

6- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((سيأتي على الناس سنوات خداعات، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة. قيل: وما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه في أمر العامة)) (2).
رواه ابن ماجه والحاكم وصححه الذهبي ورواه أحمد في المسند 291/1 .

- قال السندي في شرحه على السنن 494/2: « خداعات، بتشديد الدال، للمبالغة، قال السيوطي: أي تكثر فيها الأمطار ويقل الربيع... وقيل: الخداعة القليلة المطر، من خدع الريق إذا جف، والرويبضة، بالتصغير، التافه الحقير قليل العلم » أ هـ .
وفي رواية الذهبي في التلخيص على المستدرک: « قال: السفه يتكلم بأمر العامة » أ هـ .

وهذا واقع كثير من الفرق الغالية الخارجة عن الإسلام أو التي كادت تخرج عن الإيمان قديماً أو حديثاً. فما زالوا يتخذون السفهاء أئمة وزعماء وربما شابههم بعض المسلمين في جماعتهم وطوائفهم فالله المستعان على انقلاب المفاهيم واختلاف الموازين .

(1) البخاري في كتاب العلم، باب ما كان رسول الله عليه السلام يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ومسلم في كتاب الجهاد، باب الأمر بالتيشير وترك التنفير رقم 1734، وانظر: الفتح 196-137/1 .

(2) رواه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب شدة الزمان رقم 4036، والحاكم 512/4، وله شاهد عند أحمد في مسنده عن أنس 220/3، والحديث ذكره الألباني في الصحيحة برقم 1887 .

7- وكتب رجل إلى عمر بن عبدالعزيز يسأله عن القدر فأجابه : « أما بعد: أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في الأمر، واتباع سنة نبيه ρ ، وترك ما أحدثه المحدثون بعد ما جرت به سنته، وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها، فإن السنة إنما سنها من قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق .

فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم على علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، ولهم على كشف الأمور كانوا أقوى، وبفضل ما كانوا فيه أولى، فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم إنما حدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم، فإنهم هم السابقون، فقد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم من مقصد، وما فوقهم من محسر، وقد قصر قوم دونهم فجفوا، وطمح عنهم قوم فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم .

كتبت تسأل عن الإقرار بالقدر فعلى الخبير - بإذن الله - وقعت، ما أعلم ما أحدث الناس من محدثة، ولا ابتدعوا من بدعة هي أبين أثراً ولا أثبت أمراً من الإقرار بالقدر، لقد كان ذكره في الجاهلية الجهلاء يتكلمون به في كلامهم وفي شعرهم، يعززون به أنفسهم على ما فاتهم، ثم لم يزد الإسلام بعد إلا شدة: أي الشدة في العزاء والإيمان به، من القول بأن ما أخطأنا لم يكن ليصينا وما أصابنا لم يكن ليخطئنا .

ولقد ذكره رسول الله ρ في غير حديث ولا حديثين، وقد سمعه منه المسلمون فتكلموا به في حياته وبعد وفاته يقيناً وتسليماً لربهم وتضعيفاً لأنفسهم، أن يكون في شيء لم يحط به علمه، ولم يحصه كتابه، ولم يمض فيه قدرته، وأنه مع ذلك لفي محكم كتابه: منه اقتبسوه، ومنه تعلموه . ولئن قلتم: لم أنزل الله آية كذا ولم قال كذا؟ لقد قرأوا ما قرأتم، وعلموا من تأويله ما جهلتم، وقالوا بعد ذلك كله بكتاب الله وقدره وكتبت الشقاوة وما يقدر يكن، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا نملك لأنفسنا ضراً ولا نفعاً ثم رغبوا

بعد ذلك ورهبوا)) أ هـ (1).

الله أكبر فما بعد القول من قول، رسم فيه منهج أهل الكتاب والسنة والجماعة، فيما يتعلق بالقدر خاصة وغيره، أبدع رسم، فرحمة الله تعالى عليه، كيف حذر من الغلو وحاذر من ضده !.

والنصوص من الأحاديث النبوية في النهي عن الغلو والابتداع والحذر منها كثيرة مستفيضة لو اجتمعت لبلغت سفراً ضخماً، وهي مع ذلك مبثوثة في ثنايا الصحاح والسنن والمسانيد ومدونات السنة وهي مشهورة غير مجهولة والحمد لله، ومظانها من كتبها : كتاب العلم، الإيمان، الفتن، لزوم الجماعة، الاعتصام بالكتاب والسنة، التوحيد، السنة، المناقب والفضائل.

الفصل الثالث: جذور الغلو والإرهاب والتطرف والتاريخيه.

(1) رواه أبو داود في كتاب السنة، باب لزوم السنة برقم 4612، من طريق محمد بن كثير ثنا سفيان به من ثلاثة طرق . والأحاديث والآثار الواردة في ذم القدرية خاصة كثيرة جداً، انظرها في كتاب السنة لأبي داود ضمن السنن، وفي سنن الترمذي كتاب القدر، وسنن ابن ماجه كتاب الفتن، وشرح أصول اعتقاه أهل السنة للالكائي 750-627/4، والسنة لعبدالله ابن أحمد 433-384/2، والشريعة للآجري 235-227، والسنة لابن أبي عاصم وأمثالها .

الغلو قديم في البشرية وُجد قبل إرسال الله تعالى الرسل , وذلك بعد آدم U بزمن إلى أن أرسل الله رسوله نوحاً U .

الغلو في قوم نوح U :

وذلك أن سبب بعثة نوح U إلى قومه وجود الغلو فيهم بالصلحين , حيث كان الغلو سبباً في كفرهم وشركهم مع الله في عبادته غيره , فلقد غلا قوم نوح قبل مجيئه إليهم في رجال كانوا صالحين فغلوا في محبتهم حتى عبدوهم من دون الله , ثم إنهم صَوَّروا لهم أصناماً تكون رمزاً لعبادتهم حتى ظهرت بدعتهم إلى جاهلية العرب قبل مجيء الرسول p . كما قال تعالى : { وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا } [نوح : 23]

حيث أخرج البخاري بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما , قال في هذه الآية : « صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعدُ , أما ودّ فكانت لكلب بدومة الجندل , وأما سواعاً فكانت لهذيل , وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطفان , وأما يعوق فكانت لهمذان , وأما نسرأً فكانت لحمير لآل ذي الكلاع وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح , فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم , ففعلوا فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك وتَسَخَّ العلمُ عُبدت » اهـ (1) والأنصاب جمع نصب وهو الصنم يُنصب للميت لتخليد ذكراه .

هذه في الحقيقة تمثل مظهراً جلياً من الغلو , في باب الغلو في الأشخاص .

المبحث الأول: الغلو والتطرف الديني لدى اليونان.

هاهنا ثمة سؤال: لماذا الوثنية اليونانية ؟ بالذات لتاريخ التطرف والغلو بها قديماً .

(1) رواه البخاري في كتاب التفسير من صحيحه . باب قوله تعالى : { وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا } [نوح : 23] الآية .

إن إيراد هذا السؤال مهم , فلماذا العناية ببيان وثنية هؤلاء القوم ؟ إنه انقداح ذهن وتلمس من قوله تعالى في سورة براءة : { وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ } [التوبة : 30] .

فذكر سبحانه في هذه الآية مشابهة قول اليهود والنصارى في دعواهم البنوه لله Y من قبلهم من الكافرين الذين قالوا مقالات هي أصل لهذه المضاهاة .

قال ابن كثير . رحمه الله . على قوله : { يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ } أي : يشابهون من قبلهم من الأمم , ضلوا كما ضل هؤلاء . (1)
ونقل ابن الجوزي في تفسيره " زاد المسير " (2) عن الزجاج قوله { يُضَاهِئُونَ } يشابهون قول من تقدمهم من كفرتهم , فإنما قالوه اتباعا لمتقدميهم .
ثم قال ابن الجوزي : وفي قوله : { الَّذِينَ كَفَرُوا } هاهنا ثلاثة أقوال :
أحدها : أنهم عبدة الأوثان , والمعنى أن أولئك قالوا : الملائكة بنات الله , قاله ابن عباس .

الثاني : أنهم اليهود , فالمعنى أن النصارى في قولهم : المسيح ابن الله , شابهوا اليهود في قولهم : عزير ابن الله . قاله قتادة والسدي .

والثالث : أنهم أسلافهم , تابعوهم في أقوالهم تقليداً , قاله الزجاج وابن قتيبة . أ.هـ
ونحوه ما حكاه القرطبي والشوكاني في تفسيرهما عند هذه الآية (3) وقبلهما الحافظ ابن جرير الطبري على آية براءة . وعلى كلٍ فالأقوال الثلاثة ليست متعارضة , وليس الخلاف

(1) انظر " تفسير ابن كثير " 348/2 .

(2) انظر " زاد المسير " 289/3 , و" معاني القرآن " لأبي جعفر النحاس 200/3 بنحو ما ذكره ابن الجوزي , وانظر : " التسهيل لعلوم التنزيل " لابن الجزري 74/2 .

وفي قوله تعالى : { يُضَاهِئُونَ } قراءتان : بالهمزة وهي لعاصم وحده , وبقية السبعة ((يضاهاون)) بلاهمز : وانظر : " السبعة " لابن مجاهد 314 , و" القراءات العشر المتواترات " 192 , " النشر " 406/1 , و" التيسير " 118

(3) " تفسير القرطبي " 118/8-119 , و" فتح القدير " 353/2 .

بينها اختلاف تضاد , بل هو من قبيل اختلاف التنوع , إذ المعنى يحتمل أحد الأقوال كما يحتملها جميعاً .

ومما يدخل في معنى الذين كفروا من قبل اليهود والنصارى : مَنْ سبقهم من الأمم , التي شابهت مقالة اليهود والنصارى في دعوى البنوه لله مقاتلهم .
وهذه المقالة . بتولّد الآلهة وكون لها أبناء . عقيدة وثنية صريحة واضحة عند الأمة اليونانية القديمة !

فلذا دخل اليونانيون الوثنيون في مفهوم الآية ومنطوقها من هذا الاعتبار فهم ممن كفر قبل . وهو أيضاً مظهر جلي للغلو والتطرف الديني الذي أورث العنف والتكفير والإرهاب لمن لم يوافقهم في العقيدة الوثنية في حق الله بالألوهية .

هذا فضلاً عن تأثير الوثنية اليونانية على من بعدها من الأمم حيث ظهر تأثيرهم الوثني على اليهود والنصارى وفرق المسلمين الضالة من الجهمية والمعتزلة والمتكلمين وقبلهم الفلاسفة ... , فضلاً عن تأثيرهم على غيرهم من الأمم الوثنية المشتركة من الجوس والهندوس والرومان إلخ .

فإذن في تجلية الغلو والتطرف والانحراف الوثني في العقيدة اليونانية بيان للذين كفروا من قبل ومبلغ معرفتهم برهم , المتمثل في أدنى دركات الجهل , والعمى عن رب العالمين , وإن بلغوا مبلغاً متقدماً في العمران المادي للعالم بما خلفوه من تراث مادي بارز .

والموضوع أيضاً من دلالة قوله تعالى : { قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ } , وقوله { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ } , وقوله { أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } , وقوله : { قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ } .

وقوله تعالى : { أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا } .

وقوله : { أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ } .

وقوله تعالى في آخر السورة : { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } .

ولاشك أن اليونانيين وغيرهم من متقدمي الغلاة والمتطرفين في دينهم داخلون في مطلوب التفكير والاعتبار والاتعاظ ومحاذرة طريقتهم ومناهجهم في الآيات . (1)

المبحث الثاني: الغلو والتطرف الديني لدى أهل الكتابين.

ثم وجد بعد ذلك نوع من الغلو عند بني إسرائيل من يهود ونصارى كما سبق في قوله تعالى في سورتي النساء والمائدة : { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ. } [النساء : 171 , المائدة : 77] , كما وجد الغلو في التكفير عند كل من اليهود للنصارى والعكس , حتى أدى بهم الأمر إلى استباحة دماء وأعراض كل منهما الآخر (2)

فاليهود تُقرُّ مبدأ القتال لأنه مرتبط بوجودهم وبقائهم وأنهم أبناء الله وأحباؤه وما سواهم أميون يجوز أن يفعلوا بهم ما شاءوا على مبدأهم الخبيث أنه شعب الله المختار وكما قصَّ الله عنهم قولهم { وَمَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ

(1) ينظر بحث الفقير إلى الله : " الانحرافات الوثنية في العقيدة اليونانية وآثارها " ط دار المسير بالرياض , ط , 1417 هـ .

(2) تفاصيل هذا في مقال علمي في مجلة الفيصل عدد 134. شعبان 1408 هـ تحت عنوان «التطرف الديني عند بني إسرائيل» لعبد الرحمن عبد المحسن . عزز أقواله بنقول من العهدين القديم والحديث ص 87-91 , وانظر بحث " الإلحاد وعلاقته باليهود والنصارى " د. محمد الشويعر في مجلة البحوث عدد 14 عام 1405 هـ ص 209 .

إِنْ تَأْمَنُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [آل عمران : 75] وخدم لهم مسخرون لأجلهم .

والنصارى تقرر أنها وارثة اليهودية بشريعة عيسى U , كما ونقموا على اليهود لأنهم صلبوا عيسى U . كما يظنون ! .

{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ..... } الآية [المائدة: 18]

فأهل الكتاب , ولا سيما اليهود , عندهم مظاهر الغلو والتطرف واضحة جليلة في مناحٍ شتى في التغالي والكبر والعجب والتهيه على الناس جميعاً مسلمين ونصارى وغيرهم وأيضاً في عقيدتهم وتميزهم عن الناس بالدعاوى الباطلة من كونهم أبناء الله وأحباؤه , وزعمهم أنه شعب الله المختار , وأنه ليس عليهم فيما يفعلون في غيرهم من الظلم والبغي والاعتداء حرج وسبيل .

❖ وأعظم تطرفهم وغلوهم ما كان في جناب الله Y من وصفه بالنقائص , وإضافة العيوب إليه , ومما فضحهم الله به في القرآن :

1 . قولهم إن الله فقير ونحن أغنياء , كما في آخر سورة آل عمران { لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (181) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (182) الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدٌ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بَقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [آل عمران : 181-183] .

2 . ووصفهم الله بالبخل والطمع , كما في سورة المائدة في قوله تعالى : { وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَاللَّيِّنَاتُ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } [المائدة : 64] .

3 . وعيبتهم الله بالتعب والإعياء في خلق السموات والأرض في ستة أيام , مما أكذبهم الله بقوله في سورة ق { وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ } [ق : 38] .

4 . ومن ذلك قتلهم أنبياء الله ورسله إليهم وفسادهم وإفسادهم في الأرض وفي حكم الله , مما تواردت عليه آيات كثيرة في القرآن من أولها قوله تعالى في سورة البقرة : { وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَأْسَكُنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ } [البقرة : 61] .

الفصل الرابع: جذور الغلو والتطرف وآثاره عند المسلمين.

سبق وجود حالات فردية في حياة النبي ρ في الغلو , لكنها لا تذكر لقلتها ولعدم استمراريتها ولأنها لا تمثل عقيدة أو منهجاً ؛ بل سرعان ما زالت عند معرفة الصواب , وهو أمر طبيعي في أي دعوة ؛ خاصة دعوة الإسلام . وسببها . والله أعلم . التباين

والاختلاف في فهم أحكام الشريعة ومقاصدها وكذلك اختلاف قوة الدافع نحو هذه الدعوة وأحكام شرعها .

لكن النبي ρ استطاع أن يُفكِّه أصحابه ويعلمهم ليصحَّحوا ما قد طرأ من بعضهم من غلو . إن جاز التعبير . كما سبق في الأمثلة ؛ منهم الثلاثة الذين تقالوا عبادته ρ , لكن سرعان ما رجعوا إلى الاعتدال لما فقهوا (1)

المبحث الأول: علاقة نشأة الغلو بالديانات السابقة.

إذا تقرر أن أول غلو نشأ عند المسلمين , وأثر على القرون اللاحقة هو غلو عبد الله بن سبأ في ذات علي τ , وأن ابن سبأ شخصية حقيقية تكاد مصادر العقائد تجمع على أنه أول من دعا إلى فكرة تقديس علي ثم آل بيته (2) ؛ وأنه يهودي أصلاً . وكانت بعض العقائد القديمة موجودة عند فرق الإسلام والغلاة , خاصة الرافضة . لما كان هذا موجوداً جعل بعض المعاصرين يبحث في نظريات الغلو والتطرف الديني عند المسلمين من أين جاءت ؟ .

فمن قائل إنها من أصل هندي أو مجوسي أو يهودي أو نصراني أو من أصل عربي (3) والواقع أن ما عند الغلاة هو حصيلة أغلب تلك العقائد . مع التأثير الملحوظ باليهود . خاصة أنه دين أول فرقة غالية في الإسلام (4)

(1) هذه القصة وردت في حديث متفق عليه من ربايعات الشيخين . رواه البخاري في كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح , ومسلم في كتاب النكاح . باب استحباب النكاح لمن تآقت نفسه إليه رقم 1401 .

(2) كما في " نشأة الفكر الفلسفي " 68/1 .

(3) بحث هذه القضية جمع من المعاصرين . منهم د . عرفان عبد الحميد في " دراسات في العقائد الإسلامية " 43-34 , والسامرائي في " الغلو والفرق الغالية " 79-80 , 180.125 , ود . علي النشار في " نشأة الفكر الفلسفي " 68/1 والجزء الثاني من أثر اليهود على مذهب الرافضة , ونظرة الجبوري في " حركة الغلو وأصولها الفارسية " . وكامل الشيبلي في " الصلة بين التصوف والتشيع " ص 128 , وأحمد أمين في " ضحى الإسلام " 278/3 , ومحمد أبو زهرة في " تاريخ المذاهب الإسلامية " 37/1-38 . وغيرهم .

(4) طبعت أخيراً أطروحة دكتوراه حول هذا الموضوع في مجلدين عنوانها " بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود "

وإليك قول أعرف الناس بالرافضة وهو الإمام الشعبي التابعي الجليل (104هـ) . فقد روى أبو القاسم اللالكائي الطبري بسنده إلى عبد الرحمن بن مالك بن مِعول عن أبيه قال : « قال الشعبي : يا مالك لو أردت أن يعطوني رقابهم عبداً أو أن يملؤا بيتي ذهباً . يعني الرافضة . على أن أكذب لهم على عليّ لفعلوا , ولكن والله لا أكذب عليه أبداً . يا مالك : إنني قد درست هذه الأهواء كلها فلم أر قوماً هم أحمق من الخشبية . من فرق الرافضة . لو كانوا من الدواب لكانوا حُمراً , ولو كانوا من الطير لكانوا رخماً . وقال : أحذرك الأهواء المضلة وشرها الرافضة ؛ وبذلك أن من يهود من يغمصون الإسلام لتحيا ضاللتهم , كما غمص بولس بن شاؤول ملك اليهود دين النصرانية , لم يدخلوا في الإسلام رغبة ولا رهبة من الله , ولكن مقتناً لأهل الإسلام , وطعناً عليهم , فأحرقهم علي بن أبي طالب بالنار , ونفاهم من البلدان : منهم عبد الله بن سبأ نفاه إلى ساباط , وعبد الله بن يسار نفاه إلى خازر وأبو الكرؤس وابنه إلى الجابية .

وذلك أن محنة الرافضة محنة اليهود , قالت اليهود : لا يصلح الملك إلا في آل داود , وقالت الرافضة : لا تصلح الإمامة إلا في آل علي .

وقالت اليهود : لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال , أو ينزل عيسى من السماء . وقالت الرافضة : لا جهاد حتى يخرج المهدي , ثم ينادي مناد من السماء .

واليهود يؤخرون صلاة المغرب حتى تشتبك النجوم , وكذلك الرافضة .

والحديث عن رسول الله ﷺ : « لا تزال أمتي على الفطرة ما لم يؤخروا المغرب

حتى تشتبك النجوم » .

واليهود يولون عن القبلة شيئاً , وكذلك الرافضة .

واليهود تسدل أثوابها , وكذلك الرافضة .

وقد أمر رسول الله ﷺ برجل قد سدل ثوبه فقمّصه عليه أو عطفه عليه .

واليهود حرفوا التوراة , وكذلك الرافضة حرفوا القرآن .

واليهود يستحلون دم كل مسلم , وكذلك الرافضة .

واليهود لا يرون الطلاق ثلاثاً شيئاً , وكذلك الرافضة .

واليهود لا يرون على النساء عدة , وكذلك الرافضة .

واليهود يبغضون جبريل ويقولون : هو عدونا من الملائكة , وكذلك صنف من الرافضة . هم الغرابية . يقولون : غلط بالوحي على محمد (1) .

وفضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين :

سئلت اليهود من خير أهل ملتكم ؟ قالوا : أصحاب موسى .

وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم ؟ قالوا : حواريو عيسى .

وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم ؟ قالوا : أصحاب محمد .

أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم , فالسيف مسلول عليهم إلى يوم القيامة لا يثبت لهم قدم ولا تقوم لهم راية ولا تجتمع لهم كلمة , دعوتهم مدحوضة وجمعهم متفرق , كلما أوقدوا باراً للحرب أطفأها الله عز وجل « اه (2)

وإليك ما قاله أبو بكر الباقلاني في كتابه فضائح الباطنية . يسر الله بعثه . بواسطة شرح

الطحاوية (3) قال فيه :

« ولهذا كان الرفض باب الزندقة كما حكاه القاضي أبو بكر الطيب عن الباطنية وكيفية إفسادهم لدين الإسلام قال : فقالوا للداعي : يجب عليك إذا وجدت من تدعوه مسلماً أن تجعل التشيع عنده دينك وشعارك واجعل المتصل من جهة ظلم السلف لعلي وقتلهم الحسين والتبري من تيم وعدي . قبيلتي أبي بكر وعمر . وبني أمية وبني العباس . مع أنهم من آل البيت وقل بالرجعة وأن علياً يعلم الغيب يُفوض إليه خلق العالم ! . وما

(1) وهم الغرابية قالوا : إن علياً يشبه محمداً , كما يشبه الغراب الغراب , فاختلط ذلك على جبريل فغلط , حيث بدل أن ينزل الوحي على علي , أعطاه محمداً ؟ قبهم الله ! والله يقول : { نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ } [الشعراء : 193-195] .

(2) ذكر ابن تيمية لهذا الأثر طريقين في " منهاج السنة " ؛ أحدهما عن ابن شاهين بسنده إلى الشعبي , والآخر من طريق أبي عمرو الطلمنكي إليه , وساق لفظيهما بتمامهما . وأشار إلى رواية اللالكائي هذه وقال بعدها : فهذا الأثر روي من وجوه متعددة يصدق بعضها بعضاً , وبعضها يزيد على بعض , كعن عبد الرحمن بن مالك , ضعيف , ثم قال : ودم الشعبي لهم ثابت من طرق أخرى ا.هـ. " منهاج " 36-22/1 . وقال محقق كتاب اللالكائي في رقم 2823 : إنه رواه الخلال بلفظ أطول من رواية اللالكائي .

(3) " شرح الطحاوية " ص 90 .

أشبه ذلك من أعاجيب الشيعة وجهلهم , فإذا أنست من بعض الشيعة عند الدعوة إجابة ورشداً , أوقفته على مثال عليّ وولده رضي الله عنهم)) اه (1)

❖ وأخذ الغلاة من الرافضة عن المجوس أهل فارس . كما في حديث أبي هريرة في الموقف من الغلو . حيث صرّح النبي ρ أنهم يأخذون عن فارس والروم .

ومن العقائد التي تأثر بها الغلاة القول بالوصية أتى بها ابن سبأ حيث قال : إن علياً وصي رسول الله من عقائد يهود أنهم يقولون : إن يوشع بن نون وصي لموسى U .

❖ وأخذوا من اليهود التشبيه . تشبه الخالق بالمخلوق . حيث قالت اليهود : { يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ } [المائدة : 64] , وقالوا : { إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ } [آل عمران : 181] .

ومتقدمو الرافضة مشبهة مجسمة ومن أشهرهم هشام بن الحكم الرافضي , والجواليقي .

❖ وقالوا برفع عليّ إلى السماء وكذب ابن سبأ من قال بموته , وأنه لو أتى بدماعه في صرة أو بسبعين صرة لم يصدق بموته , وأنه سينزل إلى الأرض . كقول أهل الكتاب في إيليا . عيسى U وهو عقيدة الرجعة .

وقالوا : إنه فوق السحاب , وإن الرعد صوته , والبرق سوطه يضرب به السحاب .

❖ وأخذوا القول بنفي القدر وأن العبد يخلق فعل نفسه , وهو قول فرقة من اليهود تسمى الفروثيم (2) .

❖ وأخذوا من النصارى والهنود الحلول والتناسخ (3)

(1) استفاد من كتاب الباقلاني الغزالي أبو حامد في "فضائح الباطنية" وهو مطبوع في مجلد لطيف .
(2) كما في " تاريخ المذاهب الإسلامي " 125/1 . نقلاً عن أحمد أمين من " فجر الإسلام " . وترجمة هذه الكلمة المعتزلة .

(3) هذا باستقراء كتب الفرق والمقالات التي وقفت عليها . وما ذكرت إلا أهم العقائد . ويراجع على سبيل الخصوص الكلام على فرق غلاة الروافض الذين ظهر تأثيرها جلياً بالعقائد القديمة والوثنية كالسبائية . الكيسائية . البيانية . الخطابية . النصيرية

وانظر فيها : "الملل والنحل" 13-12/2 , و"الفصل لابن حزم 144-137/5 , و" دراسات العقائد الإسلامية" 41-35 , و"مقالات الإسلاميين" 88-66/1 , و" الزينة " للرازي 307-303 , و"اعتقادات فرق المسلمين" 71-70 , و" الفرق بين الفرق" 177 , وما بعدها و"نشأة الفكر الفلسفي 1"/الفصل الأول والثاني والرابع , و"البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان" 85-67 , و" التبصير في الدين "الباب الثالث عشر 124-123 , و"تاريخ المذاهب الإسلامية" 43-38/1 و59-58 , و"الفوائد المجتمعة في بيان الفرق الضالة

وغيرها من العقائد التي أفسدت عليهم دينهم , ولا أخص بذلك غلاة الشيعة بل كل من أتى بفكر غالٍ , كالمعتزلة غلاة القدرية والحلولية والاتحادية والباطنية وعموم الزنادقة قبحهم الله ! .

المبحث الثاني: غلو الخوارج, وآثاره.

وذلك أنهم سعو بالفتنة والخروج على أمير المؤمنين عثمان بن عفان τ , بدءاً بخروج قوليٍّ عليه بالسعاية بقالة الفتنة والبغي عليه , ثم خرجوا عليه بالفعل بحصاره وشتمه وذمه ثم بقتله τ , ولما قتل عثمان τ ظلماً وعدواناً وغدراً , ظهرت الفتن , وثارَت أعاصير الشبهات , وأقبلت الفتن مهرولة يحمل رايها الغلو والتطرف والإرهاب الممنوع للآمنين المطمئنين من المسلمين خصوصاً , فكان غلو الخوارج وتشددهم وخاصة في التكفير وموقفهم من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب τ , فكان مظاهر تطرف الخوارج وإرهابهم يتمثل في غلوهم في دينهم من خلال أصولهم العقديّة التي اشتهرت عنهم بعد هذه المرحلة التاريخية , حيث تأصلت أصولهم , وظهرت قواعدهم في عقيدتهم وفي تعاملهم مع المسلمين من خلال :

- (1) . التكفير للمسلمين : ولاية وعلماء وعمامة بمجرد حصول الذنب من أيّ منهم , ومنه حكموا على علي بن أبي طالب وقبلة عثمان بن عفان وعلى معاوية ومن معهم رضي الله عنهم بالكفر في أعيانهم , ثم أفرد هذا عندهم إلى كل صاحب ذنب من المسلمين . فإنه بمجرد حصول الذنب منه يكفر عيناً ويخرج من الملة إلا أن يتوب فعليه الدخول في الدين مجدداً .
- (2) ترتب على التكفير الخروج على المكفرين بالسيف , وبالقتال , وهو استحلال دماء المكفرين وأعراضهم وأموالهم .

المبتدعة " , ورسالة ((بيان الفرق الضالة)) لليازجي و"النواقص لظهور الروافض" للبرزنجي . وكلاهما خطيتان ومصورة عندي , و"الفرق المفترقة" للأفندي , والباكورة السليمانية وغيرها .

هما سيأتي لهذين الأصلين مزيد بيان ومناقشة في الفصل الثالث : الغلو
التطرف في باب الأسماء والأحكام .

(3) هذا وزادوا في أواخر المائة الأولى وأوائل الثانية بإنكار السنة والتعويل على
القرآن فقط بزعمهم , فأنكروا حدَّ الرجم لعدم وروده في القرآن , وإلزام
المرأة الحائضة بقضاء الصلاة أثناء عذرها بالحيض أو النفاس كما تقضي
الصوم !

تنبيه :

حصل تلاقح عقدي بين المعتزلة والخوارج في مسائل الأحكام على الناس بالإيمان
والكفر , كما حصل تلاقح عقدي بينهما في باب أسماء الله وصفاته , حيث فشى بين
طوائف الخوارج ولا سيما الإباضية القول بخلق القرآن , وإنكار رؤية الله في الدار الآخرة ,
وفي الجنة .

حصل هذا بتتبع كتب القوم , واستقراء مصادر العقيدة مما يضيق المقام عن تعدادها
ولشيخ الإسلام ابن تيمية قصب التميز والتنويه عن هذا .
ثم ظهرت غالبية السبائية . نسبة إلى عبد الله بن سبأ الصنعائي اليهودي ابن السوداء
أول من أوقد الزندقة في الإسلام . في ذات علي τ , فقد قال الشيخ عبد الله بن محمد بن
عبد الوهاب في مختصر سيرة الرسول ρ (1) .

((وفي أيامه . يعني علياً . خرجت المغالية وادعوا أن في علي الإلهية , قال الحافظ ابن
حجر : ورد من طريق عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال : قيل علي : إنَّ هنا قوماً
على باب المسجد يزعمون أنَّك رهم , فدعاهم عليّ وقال لهم :
ويلكم إنما أنا مثلكم آكل الطعام كما تأكلون وأشرب كما تشربون , إن أطعت الله
أثابني وإن عصيته خشيت أن يعذبني فاتقوا الله وارجعوا ! فأبوا ! فلما كان الغد غدَّوا عليه
, فجاءه قُبر فقال : قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام . فسأل فأدخلهم . فقالوا كذلك
, فلما كان اليوم الثالث قال : لئن قلت ذلك لأقتلنكم بأخبت قتلة . فأبوا إلا ذلك .

(1) مختصر سيرة الرسول ρ ص 434 , وما نقله عن الحافظ فهو في " فتح الباري " 282/12 .

فقال : يا قنبر ائتني بفَعْلَة معهم مرورهم . عمالاً معهم أدوات حفرهم . فخذلهم
أخذوداً بين المسجد والقصر وقال لهم : احفروا فأبعدوا في الأرض وجاء بالحطب فطرحه
في النار في الأخدود وقال : إني طارحكم فيها أو ترجعوا . فأبوا أن يرجعوا . فقذف بهم
حتى احترقوا وقال :

لما رأيت الأمرا أمراً منكراً أوقدت ناري ودعوت قُنبراً

. وإسناده حسن .

وفي الصحيح أن ابن عباس لما بلغه تحريقهم قال :

لو كنت أنا لم أحرقتهم لقول النبي ρ : « لا تعذبوا بعذاب الله » . ولقتلتهم لقول
رسول الله ρ : « من بدل دينه فاقتلوه » (1) فبلغ ذلك علياً فقال : صدق ابن عباس «
. اه .

وهذه المحاولة مشهورة في التاريخ ذكرها جمع من أهل المقالات . ولولا الإطالة لأحلت
إلى كتبهم . وقد وقفت على قول لبعض المعاصرين (2) ينكر فيه هذه القصة ويدّعي أنها :
« خبر مختلق من أساسه ولم يرد على صورة فيها ثقة , في كتاب معتبر من كتب
التاريخ وينتهي بنا المطاف إلى فائدة عظيمة هي أن السبئية ركام من التهم أُلقيت
على جماعة إن عن قصد أو عن غير قصد » (3) اه .

والجواب عليه : من فمك أدينك ؛ فهذه القصة ليست مختلفة بل توارد عليها جمع
من المؤرخين وكُتِّب المقالات . كما ذكرت بعضاً منهم في كتابك . والأعجب من هذا أن
رويت بإسناد حسن كما قاله الحافظ ابن حجر .

(1) رواه البخاري في كتاب الجهاد . باب لا يعذب بعذاب الله . وانظر النقل عن الحافظ ابن حجر في " فتح الباري
" 175/6 وفي كتاب " استتابة المرتدين " 282/12 .

(2) هو : د . كامل مصطفى الشيباني في كتابه الصلة بين التشيع والتصوف ص 90-91 ؛ بل تعدى إلى أبعد
من هذا , فادعى أن ابن سبأ هو عمار بن ياسر τ , وحاول التوفيق بين صفات ابن سبأ الموجودة في كتب التاريخ
وصفات عمار وموافقتها , انظر ص 38-54 , 84-92 ومناقشة هذا الزعم يحتاج إلى بسط في غير هذه
المناسبة . وهذا القول ظهر أخيراً من أعداء الإسلام من المستشرقين وأذناهم , ولا يبعد أن يكون النفي له أصل
متقدم معتمد على نفي الرافضة له , مع أن النوبختي مؤرخ الرافضة وسارد فرقتهم قد ذكر ابن سبأ , وذكر فرقة
السبئية في كتابه : فرق الشيعة ص 22 , 23 .

(3) كما في ص 87-90 .

بل حديث ابن عباس في البخاري قرينة واضحة على وقوع تلك الحادثة . وعليه فلا مدخل من هنا على تكذيب هذه الحادثة لمن نظر وتعقل . ومن صحيح الحديث لم يتكدر .

وبعد هذا ندرك كيف كانت هذه الطغمة الفاسدة . من الخوارج والسبئية . أول مظاهر الغلو والتطرف الحقيقي وأكثرها رواجاً على غلاة الرافضة خاصة , وباقي الفرق الإسلامية عامة . وحسبك أن تنظر إلى كتاب واحد من كتب الملل والمقاتلات لترى أثر ذلك ! .

ولم نعتد بغلو الخوارج وحده فقط على أنه أول مظاهر التطرف والغلو الديني للآتي :

1. أن غلوهم أخف بكثير من غلو هؤلاء السبئية بعلي π ديانةً وعقيدةً وأثراً؟! .

2. الخوارج وقعوا فيما وقعوا فيه عن سفه ونقص في عقولهم وبصيرتهم وعلومهم (1)

فلم يكن قصدهم إفساد الدين والمسلمين . قطعاً . كما هو الحال عند غلاة الرافضة . فعليه فأجلى مظاهر الغلو والتطرف , ومنشؤه عند المسلمين هو غلو السبئية نسبة إلى عبد الله بن سبأ الهمداني اليهودي الصنعاني المكنى بابن السوداء . الذي أسلم في عهد عثمان وقاد الفتنة بين الصحابة وبين علي ومن معه , وكان ناشر مقولة الغلاة في تأليه علي . وقد نفاه عليّ إلى ساباط المدائن حيث لم يصرح أمامه بقوله بإلهيته .

إذن يمكن القول بأن أول نشأة الغلو والإرهاب الممنوع والتطرف في الإسلام بهذا الفكر , وتلك العقائد ؛ إنما كان بسبب عبد الله بن سبأ اليهودي أبعده الله . كما أثر بولس اليهودي في إفساد ملة النصارى؟! .

المبحث الثالث: غلو المعتزلة وآثاره.

(1) بدليل أنه لما حاجهم ابن عباس في دلائلهم وأتي بنظائر ما توهموه : في ثلاث مسائل : 1. مسألة تحكيم الرجال في آية النساء , 2. وسي أم المؤمنين , 3. واستحلال مال ودم المسلمين , رجع منهم كثير . اختلفوا في عدده . ورفض الباقون مناظرة ابن عباس لأنه من قريش ولأنهم بزعمهم كما قال تعالى : { بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ } الزخرف

وظهر غلوهم في ثلاثة مناحٍ في باب الإسماء والصفات حيث أنكروها على الله , وعطلوها سبحانه منها مشابهة منهم للجهمية , وهو أصلهم المسمى عندهم ((بالتوحيد)) وفي باب القدر بإنكار قدر الله ومشيعته لأفعال خلقه , كما علي أصلهم المسمى عندهم ((بالعدل)) .

❖ **والمنحي الثالث** وهو أخطر ما عندهم ما يتعلق بالأسماء والأحكام من جهة أسماء الناس في الدنيا هل هم مسلمون أو فاسقون أو كفار ؟ وأحكامهم في الآخرة هل هم في الجنة أو النار ؟ وهو ما تحور حول أصولهم :

1. **الأصل الثالث** وهو ((إنفاذ الوعد والوعيد)) يجعل صاحب الكبيرة مخلداً في النار .

2. **الأصل الرابع** وهو ((المنزلة بين المنزلتين)) يكون صاحب الذنب في الدنيا ليس بمسلم ولا كافر , بل بمنزلة بينهما , يطلقون عليها اصطلاحاً خاصاً بهم هو الفاسق . (1)
3. **الأصل الخامس** : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ويقف هذا الأصل عندهم على الخروج على السلاطين وولاية الأمور إذا وقعوا في معصية , خروجاً باليد وبالسيف إذا قدروا عليه . (2)
وهو ثمرة مذهب الخوارج في إعمال السيف على صاحب الذنب مما صدق عليهم جميعاً وصف الوعيدية .

هذا والفصل القادم , وهو الثالث يوضح تطرف المعتزلة وغلوهم في هذه الأصول وآثارها , مما يضرب بالتكفير والقتال في تاريخ المسلمين من خلالهم بعطن.

(1) ينظر في هذا الأصول عند المعتزلة , " شرح الأصول الخمسة " للقاضي عبد الجبار الهمداني المتزلي (415هـ) و" المغني في أبواب العدل والتوحيد له " , و" المحيط بالتكليف " له أيضاً , و" مقالات الإسلاميين " لأبي الحسن الأشعري 218/2 وما بعدها .

(2) . انظر " شرح الأصول الخمسة " 144 , و" مقالات الإسلاميين " 278/1 , و" الانتصار " للخياط المعتزلي 117 وما بعدها .

المبحث الرابع: الغلو في مسألة الأسماء والأحكام.

أولاً ❖ ما الأسماء والأحكام ؟ :

هذا المصطلح حادث لم يكن معروفاً عند الرعيل الأول من السلف الصالح , وإن كان موجوداً بمعناه وأحكامه .

❖ فالأسماء : هو ما يسمى العبد به في الدنيا من الأسماء الدينية : مؤمن , كافر , فاسق , عاصٍ , منافق

❖ والأحكام : هو ما يُحكم عليه به في الآخرة : في الجنة أو مخلد في النار أو غير مخلد فيها .

وهذا المبحث هو ثمرة الخلاف في مسمى الإيمان وحقيقته , ومسمى الكفر وحقيقته فكل من كان له قول في الإيمان تجد له في نهاية قوله تقريراً في حكم العبد في الآخرة , واسمه في الدنيا .

لأجل هذا سيكون الكلام ابتداءً على الغلو في باب الإيمان بين الطوائف ويتضمن الأسماء والأحكام كنتيجة له .

❖ أهل السنة والجماعة يعتقدون أن الإيمان يكون بثلاثة أمور :

1. قول باللسان .

2. اعتقاد بالقلب والجنان .

3. عمل بالجوارح والأركان .

مع زيادته بطاعة الرحمن , ونقصانه بطاعة الشيطان , وأصل هذا القول مستفاد من استقراء الكتاب والسنة , وفهم الصحابة لهما , ودلالة لغة العرب لألفاظهما .

وعليه فالعبد عند أهل السنة بمقتضى النصوص اسمه في الدنيا مؤمن ما لم يكن صاحب كبيرة مُفسّقة أو مُكفّرة .

فإن كانت له مُفسّقة فيسمونه مؤمناً ناقص الإيمان بحسب معصيته , أو مؤمناً فاسقاً , ويعامل معاملة المسلمين إلا في الشهادة ونحوها , وهو يوم القيامة من أهل الجنة تحت

مشيئة الله إن شاء عذبه بكبيرته أو غفرله برحمته , وإن عذبه بها فإنه لا يخلد في نار جهنم لأنه مسلم معه أصل الإيمان .

وإن كانت بدعة مكفرة فيقام عليه حكم الردة , ويسمونه كافراً لإجراء أحكام الكافر عليه , وهو يوم القيامة . أي الكافر . مخلص في النار , لكنهم لا يشهدون لمعين . ولو أقيم عليه حد الردة . أنه من أهل النار المخلدين فيها ؛ لعدم اطلاعهم على ما ختم الله به عمله من توبة نصوح .

وكذلك الشهادة بالإيمان ؛ لا يشهدون لمعين بأنه من أهل الجنة , إلا من نصَّ عليهم الدليل كالعشرة المبشرين بالجنة وعكاشة بن محصن ونحوهم رضي الله عنهم أجمعين .

ثانياً ❖ الفرق الغالية في هذا الباب :

اتفق الخوارج والمعتزلة وهم الوعيدية , مع أهل السنة على تعريف الإيمان وفارقوهم في تطبيقه حتى غلو وتطرفوا في الأسماء والأحكام .

❖ **فعلت الخوارج** وقالت : صاحب الكبيرة اسمه في الدنيا كافر حلال الدم والمال , وحكمه يوم القيامة أنه مخلص في نار جهنم .

❖ **وقالت المعتزلة** : هو . أي صاحب الكبيرة . في منزلة بين المنزلتين ليس بمؤمن ولا كافر , هذا في الدنيا وربما يسمونه فاسقاً , لكن على غير معناه عند أهل السنة والجماعة ؛ بل فسقاً ينقله عن مرتبة الإيمان ولا يدخله إلى دركة الكفر , وحكمه يوم القيامة أنه خالد مخلص في النار .

فاختلافهم مع الخوارج في اسمه في الدنيا , فلم يصرحوا بقول الخوارج مع أنهم وافقوهم في الحكم الأخروي الذي يكون نتيجة لما قبله من عمل ؛ ولهذا سُموا ((مخانيث الخوارج)) .!؟

❖ **وقالت الجهمية , والصالحية . أصحاب أبي الحسن الصالحى المعتزلي . والثوبانية , والغسانية . أتباع يونس بن عون النميري . , والشيبية . أتباع محمد بن شبيب . , وكذا قال غيلان بن مسلم الدمشقي ؛ قالوا :**

الإيمان هو المعرفة والإقرار بالله ورسوله بالقلب فقط , وإن لم يكن معه قول اللسان أو عمل الجوارح ؛ فكل عارف لله بقلبه في الدنيا هو من أهل الجنة . والعكس بالعكس .

ولذا قال ابن القيم في النونية حاكياً مذهب جهم وأضرابه :
قالوا وإقرار العباد بأنه خلاقهم هو منتهى الإيمان
والناس في الإيمان شيء واحد كالمشط عند تماثل الأسنان
وهؤلاء هم المرجئة المحضة .

❖ **وقالت الكرامية .** أصحاب محمد بن كرام السجستاني الزاهد ، . وقول النجارية .
أتباع الحسين بن محمد النجار من المعتزلة ، . وهم مقاتل بن سليمان وأتباعه ؛ قالوا :
الإيمان هو مجرد النطق بالتوحيد بلسانه .

فمن نطق بالتوحيد عندهم فهو مؤمن كامل الإيمان وهو في الآخرة في جنان النعيم .
والكرامية في المشهور عند العلماء هم من عامة المرجئة ، أو قل عوامهم ومتوسطهم!

❖ **وقالت الأشاعرة ،** وهو ظاهر قول الماتريدية :
إن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط .

فافترقوا عن المرجئة المحضة بزيادة التصديق على إقرار القلب !
وعلى قول الأشاعرة والماتريدية يُحمل قول شارح الطحاوية (1):
« فمنهم من يقول : إن الإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلي ، وإلى هذا ذهب أبو
منصور الماتريدي رحمه الله ، ويروى عن أبي حنيفة » اه .

❖ **قلت :** أما قول أبي حنيفة فهو غريب عنه ، إذ إن المشهور عنه رحمه الله كما في
شرح الفقه الأكبر (2) قوله :

« الإيمان هو الإقرار والتصديق ، وإيمان أهل السموات لا يزيد ولا ينقص من جهة
المؤمن به ، ويزيد وينقص من جهة اليقين والتصديق ، والمؤمنون مستوون في الإيمان
والتوحيد ، متفاضلون في الأعمال » اه .

وهذا الذي اشتهر عند الحنفية وذكره شارح الطحاوية هو ما قرره أبو جعفر الطحاوي
الحنفي في عقيدته ، ولذا يسمون عند أهل العلم « **مرجئة الفقهاء** » .

(1) ص 332 من " شرح العقيدة الطحاوية " لابن أبي العز الحنفي .

(2) ص 124-129 من " شرح الفقه الأكبر " لأبي حنيفة للملا علي قارئ الهروي .

أما قول أبي منصور الماتريدي فلم أقف عليه , ولو صح لكان خلافه مع الجهمية .
أصحاب المعرفة ؛ بأن الإيمان معرفة بالقلب بالله ورسوله . خلافاً لفظياً إذ إن اللسان ركن
زائد ليس أصلياً .

وعلى هذا فالمرجئة مراتب هي :

1 . المرجئة المحضة , القائلين بأن الإيمان هو المعرفة بالقلب فقط , والكفر هو

الجهل .

2 . عوام المرجئة « الكرامية » القائلين بأن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط .

3 . الأشاعرة والماتريدية : القائلين بأن الإيمان هو التصديق بالجنان .

4 . مرجئة الفقهاء القائلين بأن الإيمان هو التصديق بالجنان والإقرار باللسان .

ثالثاً ❖ مناقشة أقوال الغلاة :

❖ قول الجهمية أظهر من أن يناقش فهو أفسد الأقوال ؛ لأن من لوازمه الشهود
بالإيمان لأكفر خلق الله , من كفرهم الله في كتابه , كإبليس وفرعون وقومه وأمّية بن خلف
.. فلازم قولهم أنهم مؤمنون ؛ لأنهم جميعهم مقرون بالله ورسوله في قلوبهم , كما حكاها الله
عنهم في غير ما آية في كتابه العزيز . كما قال سبحانه عن إبليس { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي
لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } [الحجر : 39] , وقال في سورة ص {
قَالَ فِعْرَتِكَ لِأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } [ص : 82] , وقال سبحانه عن فرعون وآله في سورة
النحل { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُفْسِدِينَ } [النحل : 14] , وقال سبحانه في آخر سورة الإسراء : { قَالَ لَقَدْ
عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا
} [الإسراء : 102]

❖ أما الخوارج والمعتزلة فمن أظهر شبههم التمسك بقوله تعالى : { وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا
مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا }
[النساء : 93] .

فقالوا : هذا مؤمن ارتكب معصية وكبيرة بقتله مؤمناً آخر عدواناً وتعمداً , فالله تعالى جعله مخلداً في ناره , ولا يخلد في النار إلا الكافر ؛ فدل على أنه كافر مخلد في النار بكبيرته , وعلى هذا باقي المعاصي .

رابعاً ❖ والرد على الوعيدية من الخوارج والمعتزلة في استدلالهم بآية

النساء من عدة وجوه :

1. أن الله ذكر الخلود في الآية ولم يذكره على التأييد كقوله عن أهل الجنة : { خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } [البينة : 8] .

وَقَوْلُهُ عَنْ أَهْلِ النَّارِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ فِي أَوَاخِرِ النَّسَاءِ وَالْأَحْزَابِ وَالْجَنِّ { خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً } فَصَرَّحَ سَبْحَانَهُ فِيهَا بِالْخُلُودِ مَعَ التَّأْيِيدِ .

فعليه يكون المراد بالتخليد في هذه الآية المكث الطويل , خاصة أن معصية قتل النفس التي حرم الله من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله , كما دل عليه حديث أبي هريرة τ في السبع الموبقات وهو عند مسلم , فدل على عظم هذا الجرم وكبره لا على كفر فاعله !

2. إن الله تعالى في أحكام القصاص سمى القاتل أحياناً للمقتول , كما في قوله تعالى : { فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ } [البقرة : 178]

فلو كان القاتل كافراً لما جاز أن يسميه الله أحياناً للمؤمن ؛ لأن الأخوة مودة ولا تكون إلا للمؤمن { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ } [المجادلة : 22]

3. كما أنه يجوز العفو في القصاص إلى الدية , وإلى لا شيء تكراً وتفضلاً , فلو كان القاتل كافراً مرتداً , لم يجز إسقاط الحد عليه بالعفو , للحديث « من بدل دينه فاقتلوه » ولحديث « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : الشيب الزاني , والنفس بالنفس , والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

4. القاتل لو أقيم عليه الحد يُصَلَّى عليه , وُغُسِّلَ , ودُفِنَ مع المسلمين في مقابرهم وجازت الصدقة عنه وعليه إجماع السلف .

ولو كان كافراً ترتبت عليه أحكام المرتدين ولم يجز له ما سلف من الأحكام
المخصوصة بالمسلمين فقط .

5 . قال بعض العلماء كابن جرير وغيره : إن الآية خاصة في الذين يستحلون القتل ,
فإن كان كذلك فهو كافر لا شك فيه , لكن ظاهر الآية يبعد عن هذا التأويل والتفسير !

6 . وعلى سبيل التَّنَزُّل فهذه الآية خاصة بمن يقتل مؤمناً متعمداً فلا يدخل معها
غيرها من المعاصي كالسرقة والرجم والقذف الخ .

7 . عموم قوله تعالى : في آيتي النساء : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا
دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } [النساء : 48]

ولا شك أن القتل دون الشرك بالله أجمعاً ؛ فهو داخل تحت المشيئة في هذه الآية .
❖ أما عن شبهة الكرامية في قولهم : إن الإيمان هو القول باللسان فقط ؛ لأن الله
دعا الناس إلى الإقرار به , وبالكتب المنزلة , كما في قوله تعالى : { قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ
إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ } [البقرة : 136] , فالله لم يأمرنا هنا إلا
بالقول , فدل على أن الإيمان يتوقف عليه .

فالجواب عنهم : كذلك من وجوه :

1 . غاية ما تدل عليه الآية الأمر بالإيمان بالله والكتب السماوية والأنبياء من قبل الله
, وألا يفرق بين رسله فيؤمن ببعض ويكفر ببعض , فليس في الآية دلالة على اقتصار
الإيمان على القول فقط .

2 . الآية اللاحقة لها مباشرة فيها : { فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا }
[البقرة : 137] ؛ أي آمن أهل الكتاب وغيرهم بمثل ما آمنتم به أنتم من الإيمان بالله
وملائكته وكتبه ورسله وبعضها لا يكون إلا بالقلب فدل على عدم اقتصار الإيمان
على القول المجرد .

3 . في هذه الآية تنويه بأهم أنواع الإيمان ولم تستغرق الآية جميع أنواع الإيمان « بالله
وملائكته » وشعب الإيمان كثيرة , وفي باقي النصوص تكميل لجميع أنواع الإيمان ؛
قال تعالى : { وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ }
.....

[البقرة : 177] وغيرها , فالقرآن يؤخذ جميعه لا بعضه , وكذلك السنة , حيث وردت نصوص تكفر من اعتقد الإيمان بكل مراتبه الست ثم لا يصلي , أو استحل معصية ظاهرة الحرمه , قطعية الدلالة على حرمتها .

4. هذا القول يعارض قوله تعالى : { قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا } [الحجرات : 14] .

فنفى الله عن الأعراب الإيمان مع أنهم نطقوا بكلمة التوحيد , لكن لم يدخل الإيمان إلى قلوبهم , إلا إن قصدوا بذلك الإسلام . أي بالإيمان الإسلام . فلا تعارض بين الآيتين .

5 . يلزم من قولكم أن الإيمان مجرد النطق باللسان فقط , الحكم على المنافقين الذين شهدوا بألسنتهم أنهم مؤمنون كاملو الإيمان , وهذا خلاف صريح الكتاب ؛ قال تعالى : { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا } [النساء : 145] , ولغيرها من الآيات الدالة على كفرهم وتكذيبهم وأن مآلهم إلى النار .

6 . كما يلزم من هذا القول أن من به عيب كالأخرس , ولا يستطيع أن يتكلم بلسانه . مع تصديق قلبه وإيقانه بالإيمان . يلزم أنه كافر , وهذا خلاف إجماع المسلمين .

وعلى كل , فإن قصر الإيمان على مجرد النطق به . مع لزومه ابتداءً . قول باطل مخالف لظاهر النصوص من الكتاب والسنة وإجماع المسلمين , وفعل الرسول ﷺ مع من يسلم حديثاً .

❖ أما عند القائلين بأن الإيمان هو التصديق , وهو قول الأشاعرة والماتردية , فهو باطل أيضاً .

. لأنه لو كان كذلك لما صح وجوب تلفظ الكافر بالتوحيد . الشهادتين . عند دخوله الإسلام , وهو ما فعله النبي ﷺ وأصحابه والمسلمون بعدهم مع مرید الإسلام من الكفرة .

. وأيضاً لما صح تكفير أحد من الناس , يأتي بناقض من نواقض الإسلام , أو يترك الصلاة عمداً أو تهاوناً ما دام عنده تصديق بالقلب وحده !

فإن هذين مما بيننا فساد قولهم وبعده عن الصواب .

❖ وكذلك قول مرجئة الفقهاء بأن الإيمان هو : الإقرار والتصديق , يخالف عمل رسول الله ρ والمسلمون بعده من فرضية عمل الإيمان بالصلاة والحج والصوم والجهاد وربط كثير من الأعمال بالإيمان .

بل هم يعارضون قولهم فيما يقررونه في فقههم بوجوب العمل بدءاً من كتاب الطهارة إلى نهاية أبواب الفقه , فلو لم تكن هذه من الإيمان , فما الحاجة من بحثها والعلم والعمل بها ؟ . كما وأنهم من أوسع المذاهب الأربعة في تقرير أبواب حكم المرتد وبيان الأقوال والأعمال التي يرتد بها المؤمن عن الإسلام . هذا فضلاً عن ترتيبهم الجزاءات والعقوبات الشرعية في الدنيا والآخرة على ترك الأعمال .

خامساً ❖ أثر الغلو في الأسماء والأحكام :

❖ مضى قول الخوارج أن الفاسق كافر في الدنيا , مخلد في النار يوم القيامة , يجوز سلب ماله , واستحلال دمه , واسترقاقه , وتطليق زوجته منه ولا تجوز الصلاة عليه أو دفنه مع المسلمين , وهو في الآخرة يائس من رحمة الله , للحزم بأنه كافر ومخلد في نار جهنم .

❖ أما المعتزلة فيوافقونهم في حكم يوم القيامة , وهو الحكم الأخروي , دون حكم الدنيا . فهؤلاء ضيقوا على الناس بحسابتهم بكبائرهم ومعاصيهم , فكم يبقى في الدين من رجل بعد هذا التشدد والتعسير؟! حيث من يبرئ نفسه من الوقوع في المعاصي أو ترك الواجبات ..

ولا يزال خطر أولئك الخوارج مستمراً , حتى ظهرت في هذا الزمان طائفة تنادى بأفكارهم , وتوصل أصولهم , وهي جماعة شكري أحمد مصطفى (1398هـ) في بلاد مصر وهي جماعة التكفير والهجرة وقد تأثر بهذه الجماعة وأقوالها طوائف من قلبي العلم والبصيرة من الشباب العاطفي المندفع , وطوائف من الدعوات الحركية وحزب التحرير وغيرهم . ومن أقوال شكري في مرتكب المعصية :

« لم يحدث أن فرقت الشريعة بين الكفر العملي والكفر القلبي , ولا أن جاء نص واحد يدل أو يشير أدنى إشارة إلى أن الذين كفروا بسلوكهم غير الذين كفروا بقلوبهم

واعتقادهم , بل كل النصوص تدل على أن العصيان لله عملاً والكفر به سلوكاً واقعاً , هو بمفرده سبب العذاب والخلود في النار والحرمات من الجنة » اهـ .

وحسبي أن أشير إلى آثار تلك الفرقة على الناس :

1. اعتزال أفرادها المجتمع المصري لأنه كافر ؛ ولأنه راضٍ بالكفر .
 2. تصفية وقتل كل من خالفهم أو ردُّ عليهم . ومنهم الدكتور الذهبي بمصر . لأن من خالفهم فهو كافر , حيث قامت عليه الحجة فلم يقتنع بها , وتجري عليه أحكام المرتد .
 - 3 . عندهم كل من لم يحكم بغير ما أنزل الله يكون كافراً كفوفاً مخرجاً عن الملة جملة , دون التفصيل , كما هي طريقة المحققين من أهل السنة في وجوب التفصيل .
 - 4 . التكفير بالمعاصي والحكم على صاحبها لخلود بها في نار جهنم .
- وهذا من أعظم المسوغات لحصول التكفير والتفجير والقتل واستباحة الدماء والأعراض والأموال والسعي في الأرض فساداً , وتخويف الآمنين , وإشاعة الفوضى والخوف بين المجتمعات الآمنة .

5 . تشويه صورة سماحة الإسلام بين الناس . ووافق ذلك لمزهم بالتطرف , والإرهاب , التشدد وجماعة التكفير والهجرة . وتفرق المسلمين , وبث الفوضى والخوف وعدم الأمن بينهم , وهذا مشاهد في أماكن شتى عند أضراب هؤلاء , ومع الأسف الشديد , أنهم يعتقدون أن تصرفهم هذا ديانة لله وجهاداً , وجهلاً بالعلم والدين ومقاصده !

6 . دعواهم بأنهم جماعة المهدي المنتظر , لاتحاد الزمان الذي أخبر عنه النبي ﷺ

بوجود المهدي فيه مع زمانهم الذي يعيشون فيه !؟

وهكذا كل قول أو طائفة تنتحل مثل أفكار الخوارج ومعتقداتهم لا بد أن ينتج عنه نظير ما ينتج عن هذه الطائفة من الآثار غير الحمودة طبعاً وعقلاً فضلاً , عن الشرع الحنيف .

مع التنبيه إلى أنه لا يستلزم أن من شابه الخوارج . أو غيرهم من الفرق . في بعض أصولها أن يكون منهم أو منتسباً إليهم , ولكن الحكم العدل في هذا أن يقال إنه شابه الخوارج في أصلهم كذا وكذا .

الفصل الخامس: أسباب الغلو والإرهاب المذموم.

وسأحاول هنا تعداد الأسباب التي أدت بأقوام أو أفراد، إلى الانحراف عن المنهج الوسط القويم، إلى الغلو والضلال، فمن هذه الأسباب :

1- الجهل بأحكام الشرائع السماوية وقلة البصيرة فيها أو مخالفتها ولو بمقصد شرعي ابتداء كما حصل لقوم نوح عليه السلام، وهذا يؤدي إما على فهم زائد عن الواجب وهو الغلو والإفراط، أو عكسه تفريط وغلو فيه عن الواجب .

ولا بد من التنبه إلى أنه لا يكفي حسن المقصد لتبرير تصويب الوسيلة أو التغافل عنها البتة ! .

2- دخول كثير من أهل الأديان السابقة للإسلام بقصد الكيد له، وإفساده - كما يدعون أن أفسد عليهم دينهم بفتح بلدانهم ونشر الإسلام فيها - فكان هذا من المنافقين والزنادقة أقوى وسيلة لتقويض دعائم الدين وتهوين أصوله ببث العقائد المغرضة

فيه، وتأمل النقل السابق عن الباقلاني في فضائح الباطنية، وكيدهم للإسلام، واتخاذهم الراضة مطية لذلك .

كذلك ما سبق هذا من حنق اليهود وغيرهم من الجوس والنصارى على الرسول ρ وصحابته، كما هو معروف في سيرتهم بالمدينة والجزيرة .

3- الاعتماد على مصادر مغايرة لمصادر الشريعة الإسلامية في التحاكم إليها كالعقول المجردة - الفاسدة - والمناطق والفلسفات الكلامية العقيمة التي تُزع ما فيها من خير . واعتبر بحال المعطلة وغلاتهم وأمثالهم .

4- التعصب الأعمى، والتوقع على المعتقد القديم، تعصباً يكون معه رد ما عند المخالف ولو كان حقاً، بل وطرح الأدلة القطعية وعدم الاعتداد بها - وهي أدلة الكتاب والسنة - أو صرف الهمة إلى الفروع وبناء الولاء والبراء عليها؛ فيؤدي إلى ظهور مظاهر غير محمودة كالعنف في التعامل، والتزام التضييق على الناس مع قيام موجبات التسهيل ودواعيه، وأسبابه التيسير عليهم؛ مثل حال الخوارج إلى هذا الوقت، ومن مظاهرها ما يحصل من مقلدة المذاهب الفقهية، المتعصبين لها مقابل النصوص والأقوال الصحيحة .

5- وجود التفريط في العمل بالأحكام الشرعية أو فكرة معينة أو عقيدة ما، الذي يفضي بدوره إلى وقوع ردة فعل قوية أو العكس فتكون بين طرفين متناقضين .

كذلك وجود المنكرات جهاراً علانية، بل الكفر الواضح في مجتمع معين، أو فكر محدد، يولد غلواً في مكافحته ودفعه، كالمرجئة مقابل الخوارج، والمعتزلة في باب الأسماء والأحكام، وكالمعطلة مقابل المشبهة في الصفات، وكالراضة مقابل الناصبة الخوارج في آل البيت خصوصاً... إلخ .

- أو استخدام القوة أو العنف بدلاً من الحكمة والحسنى يقابله زيادة التمسك بفكرة الغلاة وأقوالهم. ومثله وجود تساهل في منهج فرقة معينة يقابله التشديد في منهج فرقة مقابلة، وتأمله في واقع الفرق الإسلامية قديماً وحديثاً! . ثم استلهم العبر! .

6- الاستقلالية في استنباط الأحكام الشرعية دون ضابط محدد ومنهج حق من كتاب الله وسنة رسوله ρ ومستند السلف الصالح واللغة العربية، وفي الوقوف على الأدلة

ودلالاتها وأقوال أهل الفقه والبصيرة فيها .

- فما حصل من واصل بن عطاء الغزال في قصة اعتزاله عن الحسن البصري نوع من هذا .

- وكذا ما حصل عند كبار المتصوفة والباطنية الذين خاضوا وتكلموا بالنصوص السمعية بأهوائهم لا بما تدل عليه . فالنص يدور في فلك معين وهم في فلك آخر مغاير له .

- وكذا ما يقع من بعض الجماعات المعاصرة - وخاصة الشباب - من استقلالية بالأخذ عن الكتاب والسنة بدون ضابط، حتى ظهرت العبارة المشهورة « نحن رجال وهم رجال » دون الاعتداء بأهل العلم والبصيرة من علمائهم .

7- نقص أو انعدام التربية الحقيقية الإيمانية القائمة على مرتكزات ودعائم قوية من نصوص الوحي، واستبصار المصلحة العامة ودرء المفسد الطارئة، وقلة إدراك عبر التاريخ ودروس الزمان وسنن الحياة في واقع الناس .

- ومما يؤكد النقص الواضح في التربية، تخلي بعض العلماء أو أكثرهم على مر العصور عن حقوق العلم وواجباتهم نحوه، وهذا أمر نسبي يختلف من زمن لآخر، ولكنك تراه واضحاً في زمان أو مكان قلوا فيه أو انعدموا ! فتكون البيئة عندئذ خصبة، والدواعي معتبرة، والجو مهياً لقبول الغلو وظهوره وانتشاره .

- ولكن أبرز الأسباب التي أجدها معتبرة في عزو الغلو إليها، وهي بذاتها أسباب الغلو في قوم نوح وبداية الدعوة المحمدية الإسلامية وبعد مقتل عثمان... والغلو المعاصر، فإن هذه الأسباب هي كبرى البواعث غالباً على الغلو وآثاره .

- يعزو أحد الأساتذة المعاصرين⁽¹⁾، أسباب الغلو إلى الاعتماد على المتشابهات، فهل المقصود الآيات المتشابهات مقابل المحكمات أو غيرها ؟ فإذا كان هذا، فهذا ثم سبب متداخل مع ما سبق وربما يكون وسيلة من وسائله، وهو نتيجة لبعض ما سبق من أسباب:

(1) هو: د. يوسف القرضاوي في كتابه قضايا إسلامية معاصرة على بساط البحث، ص 115، 116، وانظر: رسالته: « الغلو في التكفير » .

كالجهل والاستقلالية بالاستنباط وردود الأفعال .

أو كان المراد به المتشابهات التي هي قسيم الواضحات الجلية من المسائل في أي نعم ! لأنها
تجنح بالأفكار إلى مدى بعيد عن الحقيقة والصواب، والله سبحانه يقول: { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ
عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي
قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ
وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ }
[آل عمران:7].

الفصل السادس: العلاج العقدي للغلو والإرهاب المذموم.

المبحث الأول: آثار الغلو العملية ومنهج أهل السنة والجماعة في
علاجها.

أقول ابتداءً: إن البحث في الغلو والغلاة، وأسباب الغلو ، ونشأته، لعلاج هذه الآثار
والنتائج الحاصلة من الغلو ، وتأمل كيفية ضلال الناس عن صراط الله المستقيين للعظة
والعبرة.

والغلو في مسائل الدين مما يسيء في الحقيقة إلى عقيدة الإسلام ومحاسنه ؛ فالغلو في
العبادات أو الأفكار أو العقائد أو التصرفات ، ومعارضة قواعد الشريعة في التسهيل في
مواضعه مما يُستقبح حصوله في المجتمع المسلم القصد المتوسط.

فمثلاً : التبتل وعدم النكاح , أو الاعتزال وطول العبادة , أو صيام الدهر كله , كل هذه نماذج من الغلو والزيادة والإفراط في العبادة بما لهم يأذن به الله , بل هو قدح في الشريعة وواضعها الذي شرع للناس عبادتهم ؛ لأنه يتهم الشريعة بالنقص , فلهذا طلب الزيادة بالغلو.

ونجعل مثل هذا غافلاً عن تكامل الشريعة في كل شيء وأن العبادة ليست مقتصرة على الجوع وطول الذكر والصلاة بل كل عمل يفعله الإنسان مما أباحه الله يكون عبادة ؛ فالنكاح عبادة والمشى عبادة والتجارة عبادة وعلى هذا فقس كل مسألة وقع فيها الغلو , ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة , فقد كان أكمل العباد عبادة لربه , وهذا مقرر عند كل من شهد بعبودية الرسول لربه ورسالته.

ولئلا يكون الحديث إنشائياً فأحاول ذكر ما تيسر من الآثار التي صورتها ووقعت أو التي يمكن وقوعها , بناءً على الترتيب السابق للمسائل في المبحث الثاني , كالتالي:

1. أثر الغلو في الصفات:

◆ فالمعطلة طلبوا تنزيه الله فردوا النصوص أو حرفوها , وعبدوا إلهاً لا يعرفون له صفة إلا إنه حيٌّ موجودٍ , اعتماداً على مقررات عقولهم ومناطقهم, وهي لا تنفرد بتقرير المغيبات ؛ إذ المعول فيها على السمعيات من الكتاب والسنة.

وقدموا المنهج العقلي على الأحكام الشرعية فعملوا ما هو عنده حسناً وتركوا ما اعتقدوه قبيحاً. ولو كان ثابتاً العمل به عند المسلمين من أصل شرعهم. فارتكبوا المحرمات وعللوا فعلهم لها بالتأويل والمجاز.

◆ والمشبهة قد وصفوا الله تعالى بصفات النقص الجسيمة فعبدوا رباً كالbشر في حقيقته , فهو محتاجٌ لمخلوقاته: كالعرش الذي يجلس عليه, والجمل الذي يركبه يوم عرفة. تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

◆ وسبق بيان منهج أهل السنة وأنه وسط بينهما , قريباً في المبحث الأول في « وسطية أهل السنة وأثرها ».

2. أثر الغلو في القضاء والقدر:

◆ فعند الجبرية: لا حرج على العبد في فعل ما يشاء حلالاً أو حراماً ؛ لأنه مجبورٌ على فعله لا اختيار له ولا إرادة.

وعليه, يعطل أهم أصول شرائع الدين, وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, ولا تكون الدعوة إلى الله بل تعطل الشرائع كلها بما فيها من أمر ونهي وحساب وجزاء ؛ لأن العبد حسب ما أجبره عليه ربه وتيسره له. فإذا رأيت العاصي يمارس معصيته والكافر يكفر , فلا ينكر قلبك ولا يتمعر وجهك ؛ لأنه ليس له إرادة في فعله , وإن أنكرت عليه قال: هذا جبر جُبرت عليه !.

◆ أما القدرية: فوصفوا الله تعالى بالعجز عن خلق فعل عبده , ووصفوا العبد بالمقابل بالقدرة على خلق فعل نفسه , وأنه يخلق ما لا يقدر الله على فعله.

بل وصفته الغالية بالجهل بما سيقع من عبده, والعلم بعد ما يقع من فعله , بينما على ضده يكون سلوك الفرد القدري حيث لا رقيب عليه ؛ لأنه مستقل بفعله وقدرته , لما نفوا تقدير الله لأفعال عباده حسننها وقبيحها , خيرها وشرها.

◆ وأهل السنة وسط بينهما:

فيقررون للعبد قدرة واختياراً ومشئئة , لا يجبره على فعله أحد حتى خالف ؛ بل يفعل ما يفعله بمحض إرادته وحسب مشيئته , لكن فعله هذا وإرادته هذه داخلة في خلق الله تعالى له , كما أنها مسبوقة بعلم الله بها , فلا يعمل عملاً إلا وقد سبق تقديره وإرادته في علم الله الأزلي , وكتبه عنده في كتابه الذي جرى بما كان ويكون إلى قيام الساعة.

وهم يفرقون بين إرادة الله العامة للشيء , وبين محبته له , ورضاه به ؛ فالأولى: إرادة كونية قدرية عامة تُظهر علم الله وكمال قدرته , والثانية: إرادة شرعية دينية , من أجلها أرسل الله الرسل وأنزل الكتب , ليُهدي من هدى على بينة , ويضل من ضل عن بينة. وعليه فلا مستمسك لما يفعله العباد من خير وشر بالقدر أبداً عند أهل القرآن والنسنة والاجتماع.

وهم مع ذلك يعملون ويحرصون على إرادة الخير والطاعة , وما يحبه الله ويرضاه , ويتجنبون ما يسخطه ويغضه ويكره سبحانه وتعالى , حيث ظهر بهذا أثر عقيدتهم في

القضاء والقدر , في سلوكهم وأعمالهم وأخلاقهم وعباداتهم , فيمن كان منهم متمسكاً بهذه العقيدة عاملاً بها, وإلا فهم متفاضلون في ذلك , تفاضلهم في العقيدة أصلاً.

3. أثر العقيدة في الأشخاص:

◆ رفعهم فوق منازلهم التي أنزلهم الله فيها , الذي يؤدي إلى الاعتقاد فيهم بفعل الخير والشر , ومن ثم عبادتهم ودعائهم والاستعانة بهم مما هو صريح الشرك الذي جاء النبي ﷺ بالدعوة إلى نبذها والتحذير منه , دعوة ونذارةً { مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } [الزمر:3].

◆ التلبس على الناس والعوام الجهلة بدين الله , والافتراء عليهم , لأخذ أموالهم وابتزازها منهم بدعوى القربات إلى الأولياء والصالحين , وربط قلوب الناس بهم طمعاً وتسلطاً وتراساً.

◆ تعطيل ألوهية الله على خلقه واستحقاقه العبادة وحده لا شريك له منهم , بوجوده عند هؤلاء الغلاة في ذوات من اتبعوهم , واعتقادهم وواسطتهم إلى الله , فاكتفوا بهم عند الله وعن الله , واستغنوا عن الاتصال بالله مباشرة بعبادته ودعائه , فكانت القبور والأضرحة والمشاهد , وسمعت الشرك الأكبر.

فانظر إلى مجتمع تكون فيه الفوضى العقديّة كيف يكون وصفه؟! , فضلاً عما قد يكون من المتبوعين لأولئك الأشخاص من المصادمات ما يستلزمه واقعهم. وحسبك أن تدير رأسك في بلاد المسلمين التي ابتليت بهذا النوع . وهي كثيرة ولا حول ولا قوة إلا بالله . لتعرف الأثر السيئ , والتخلف المقيت نتيجة تلك المعتقدات الباطلة.

4. أثر الغلو في الاعتقاد بالنبوة:

◆ سيأتي كل مدع للنبوة أو الرسالة أو حتى مرتبة فوق منزلتهما بشرح يخالف ما عليه سابقه لا محالة , فكم تكون في الأرض من شريعة يتعبد الناس بها؟ , وأي منها سيكون الأحق بالاتباع والعمل!!؟

◆ ما سيحصل من تنافس بين هؤلاء المدعين للنبوة , مما ينتج عنه سفك دماء وأخذ أموال بغير حق وفوضى , أو قل: غاية لا نظام يحكمها ولا عدل , كما وقع بين أتباع البابية ومؤسس البهائية محمد حسين المازنداري في موقفه.

وسبق موقف أهل السنة من الغلو في النبوات.

5. أثر الغلو في بغض الصحابة وتكفيرهم:

◆ القدح بنقلة الشريعة: الكتاب والسنة , فإذا قدح في نقلهما , فكيف الوثوق بهما؟
فيلزم تعطيلهما !.

◆ بالمقابل يكون تعبد الله بما نقله نفر من الصحابة : علي وسليمان وعمار والمقداد وأبوذر رضي الله عنهم وتولاهم , ونعتقد بهم , ونعتمد على أقوالهم , فيكونوا هم المشرعين فلا كتاب ولا سنة ؛ لقلة ما رووه بالنسبة إلى السنة والدين ؛ مما يفتح باب الكذب عليهم والقول عليهم بما لم يقولوه , كما امتلأت به كتب القوم به على علي وأبنائه من آل بيته.

◆ انعدام الشريعة وظهور الجاهلية مرة أخرى ؛ فلا توحيد ولا عبادات ولا نظام للحياة متكامل.

وأهل السنة في أصحاب النبي ﷺ بين الرافضة وغلاتهم وأشباههم , وبين الخوارج الجافين في حقهم , الجاحدين لفضائلهم ؛ فيرون عدالة الصحابة كلهم , فهم من حمل إلينا الكتاب والسنة وحفظوهما بحفظ الله لهما.

وهم كما قاله ابن مسعود وفيما نقله عنه ابن أبي العز ص 383 من شرح الطحاوية وأسنده عنه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وغيره:

« من كان منكم مُستنّاً فليستن بمن قد مات , فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة. أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة , أبرها قلوباً , وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً. قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه , فاعرفوا لهم فضلهم , واتبعوهم في آثارهم , وتمسكوا بما استعظتم من أخلاقهم ودينهم , فإنهم كانوا على الهدى والمستقيم » اهـ.

ونرى ما حصل بينهم من فتنة أوقدها أعداء الله , فكل من الصحابة بطائفاتهم مجتهد مأجور غير مأزور مختلفين في مقدار الأجر.

وفتنة سلم الله منها سيوفنا لنسلم منها ألسنتنا , كما نظما القحطاني في نونيته قائلاً:

دع ما جرى بين الصحابة في الوغى بسيوفهم يوم التقى الجمعان

فقتيلهم منهم و قاتلهم لهم وكلاهما في الحشر مجتمعان

والله ينزع يوم الحشر كل ما تحوي صدورهم من الأضغان
وأن علياً رضي الله عن الجميع أولى بالخلافة من معاوية , وهو أحق بها , والحق كان
معه .

ومعاوية ومن معه غير مأزورين أو آثمين على اجتهادهم فلن يعدم إن شاء الله أجر
الاجتهاد , وإن فاتهم ثواب الإصابة .

ويرون الخلافة الراشدة . خلافة النبوة . هي خلافة أبي بكر الصديق وعمر الفاروق
وعثمان ذي النورين وعلي ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته .

ويرتبونهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة . على ما استقر عليه قول أهل العلم والسنة ,
وانعقد عليه إجماعهم .

ويترضون عنهم أجمعين , وأنه لو أنفق المنفق مثل أحد ذهباً لم يبلغ مد أحدهم ولا
نصيفه .

6. أثر الغلو في الأسماء والأحكام:

◆ تعتقد الخوارج أن الفاسق كافر في الدنيا , مخلد في النار يوم القيامة , يجوز سلب
ماله , واستحلال دمه , واسترقاقه , وتطليق زوجته منه ... وهو في الآخرة يائس من رحمة
الله , للجزم بأنه كافر ومخلد في نار جهنم .

أما المعتزلة فيوافقونهم في حكم يوم القيامة .

فهؤلاء ضيقوا على الناس بمحاسبتهم بكبائرهم ومعاصيهم , فكم يبقى في الدين من
رجل بعد هذا التشدد والتعسير؟! .

ولا يزال خطر أولئك الخوارج مستمراً , حتى ظهرت في هذا الزمان طائفة تنادي
بأفكارهم , وتؤصل أصولهم , هي جماعة مصطفى أحمد شكري (1398هـ) في بلاد
مصر . فمن أقوالها(1) في مرتكب المعصية:

(1) حرصت على الوقوف على أقوال الجماعة من خلال رسالتهم: الحجيات وإجمال تأويلاتهم والرد
عليها , لكن ضُنَّ بما عليّ . لهذا اعتمدت على ما نقله منها صاحب " الحكم بغير ما أنزل الله وأهل
الغلو فيه " ص 196 , فقد صرح أنه أخذ من تلك الرسائل مباشرة , ولعل الله يسهل الوقوف عليها .

« لم يحدث أن فرقت الشريعة بين الكفر العملي والكفر القلبي , ولا أن جاء نصر واحد يدل على أو يشير أدنى إشارة , إلى أن الذين كفروا بسلوكهم غير الذين كفروا بقلوبهم واعتقادهم , بل كل النصوص تدل على أن العصيان لله عملاً والكفر به سلوكاً واقعاً , هو بمفرده سبب العذاب والخلود في النار والحرمات من الجنة » اهـ.

وحسبي أن أشير إلى آثار تلك الفرقة على الناس:

1. اعتزال أفرادها المجتمع المصري لأنه كافر راضٍ بالكفر.
2. تصفية وقتل كل من خالفهم أو رد عليهم . ومنهم ذهبي مصر . لأن من خالفهم فهو كافر , حيث قامت عليه الحجة فلم يقتنع بها , وتجرى عليه أحكام المرتد.
3. عندهم كل من لم يحكم بغير ما أنزل الله يكون كافراً كفوفاً مخرجاً عن الملة جملة , دون التفصيل . كما هي طريقة المحققين من أهل السنة في وجوب التفصيل ..
4. التكفير بالمعاصي والخلود بها في نار جهنم.
5. تشويه صورة سماحة الإسلام بين الناس . ووافق ذلك لمزهم بالتطرف , وجماعة التكفير والهجرة . وتفرق المسلمين , وبث الفوضى والخوف وعدم الأمن بينهم , وهذا مشاهد في أماكن شتى عند أضراب هؤلاء , ومع الأسف الشديد , أنهم يعتقدون أن تصرفهم هذا ديانة لله وجهاداً , جهلاً بالعلم والدين ومقاصده!
6. دعواهم بأنهم جماعة المهدي المنتظر , لاتحاد الزمان الذي أخبر عنه النبي ρ بوجود المهدي فيه.

وهكذا كل قول أو طائفة تنتحل مثل أفكار الخوارج ومعتقداتهم لا بد أن ينتج عنه نظير ما ينتج عن هذه الطائفة من الآثار غير المحمودة طبعاً وعقلاً فضلاً , عن الشرع الحنيف.

◆ وعند المرجئة: المؤمن على رأيين:

1. من أوقفوا الإيمان على مجرد المعرفة والإقرار القلبي بالله وبرسوله , فكذبوا بالقرآن وشهدوا بالإيمان لإبليس وفرعون.

وعليه فلا حاجة إلى دعوة الكفرة غير الملحددين ؛ لأن غالبية الكفرة ممن يقرون بالله ويؤمنون به في قلوبهم , لا فرق بين المؤمن والكافر , إلا بالجهل بالرب أو جحوده. هذا عند المرجئة المحضة من الجهمية ومن وافقهم.

2. من حد الإيمان بالنطق باللسان فقط . وهم الكرامية . وإن جحد قلبه , فعلى هذا اسم المؤمن عندهم في الدنيا , شمل المنافق والمعاند والزنديق ؛ لأنهم أظهروا كلمة الإيمان نطقاً , وإن لم يعتقدوها قلباً أو يطبقوها عملاً.

أما في الآخرة: فعند المعرفية من المرجئة . كالجهمية المحضة وغيرهم . لا يدخل النار إلا الملاحدة المنكرون بقلوبهم وألسنتهم وجود الله , والكاذبون بقلوبهم الرسول p .

وعند الكرامية كل من نطق بلسانه دخل الجنة وإن كان ما في قلبه خلاف ذلك . ومن لم ينطق بلسانه , بل اكتفى بتصديق قلبه وإيمانه ويقينه , فهو من أهل النار . وبقية المرجئة مترددين في هذا بينهما , بشيء من الزيادة والنقصان , كما سبق الكلام عليهم تفصيلاً.

فعلى ذلك لا يضر أهل المعاصي والفسوق والمنكرات بل الكفرة ما داموا عارفين لربهم ورسوله , مقرين لهما بقلوبهم أو ناطقين بالشهادتين بألسنتهم ؛ فهم مع ما هم عليه من كبائر أو كفر ولو شركاً مع الله . هم من أهل الجنة قطعاً عند هؤلاء.

فإذا ما الحاجة إلى إرسال الرسول إلى أهل مكة وغيرهم وهم لا يعبدون الأصنام إلا لتقربهم إلى الله؟ فهم مقرون بالله مؤمنين به وبالأنبياء , مثل: محمد , وإبراهيم , وإسماعيل صلى الله عليهم وآلهم وسلم.

وهؤلاء العصاة مهما كانوا عليه من معصيتهم أو كفرهم فهم كاملوا الإيمان فلا حاجة إلى جهاد المشركين.

وهم يتركون الملاحدة والمفسدين يعيشون في الأرض الفساد , بجامع أنهم مؤمنون . ويقفون أمام الدعوات الإصلاحية كدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية شهوة وهوى , حتى لم يُسلم له الميزان بين الفتنتين.

ويوسعون دائرة الإيمان ويدخلون فيها الزنادقة وأكفر الكفرة.

◆ وأهل السنة والجماعة يرون أن الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان , يزيد بطاعة الرحمن وينقص بطاعة الشيطان , فقولهم هو الوسط , وعليه يكون

اعتماد الحياة ومن خلاله يكون تنظيمها , وهو المنهج المعتدل الذي جعله الله للناس هدى ورحمة وطريقاً سوياً لا عوج فيه ولا أمّتا , وبه تحصل السعادتان في النشاطين. فيقفون أمام جميع المنكرات ويأمرون بالمعروف , وينهون عن المنكر ويأخذون على يد السفية المفسد للمسلمين ويأطرونه على الحق أطراً , ولو لم يندفع شره إلا بقتله قتلوه , تحصيلاً للمصلحة العامة العظمى , وإنفاذاً لحكم الله فيمن لم يثق شره إلا به. وعندئذ لا يقوم بقتله أفراد أهل السنة أو آحادهم (لثلاثا يفتاتوا على إمام المسلمين), بل الذي يقوم به الحاكم الشرعي حكماً , وولي الأمر تنفيذاً.

وهم يدعون الناس إلى الإسلام ويجاهدون عليه لأنه دين الله الحق الصحيح , المأمور باتباعه من كل أحد من العالمين { لَأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } [الأنعام:19] , { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } [الأنبياء:107] , { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا } [سبأ:28].

وهم مع ذلك لا يُقنطون أهل المعاصي من رحمة الله ويُؤيِّسونهم من رحمته, بل يأخذون بجانب الحب والرجاء والخوف في دعوتهم , وكل حسب ما يناسبه.



المبحث الثاني: نماذج من علاج السلف للغلو.

وذلك بالإتيان على نماذج قليلة توضح منهجهم في معالجتهم للمحدثات, ووسائل الغلو من الأفكار الوافدة, أو المولدة الغالية.

وطريقتهم:

◆ لزوم الجماعة ما أمكن وعدم مفارقتها, وهي جماعة المسلمين, وقد يعبر عنهم بجماعة المسلمين أو المجتمعين على إمام معين, وعدم الخروج على الأئمة والصبر عليهم. فعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً إلى النبي ρ أنه قال:

« من رأى من إمامه ما يكرهه فليصبر ، فإن من فارق الجماعة شبراً فمات ، فميتته جاهلية » متفق عليه(1).

أي يكره ما يأتي من معصية الله ، لا لهوى نفسه وخصوصها ، وزخرف الدنيا . وعلى هذا كان معظم السلف ؛ فلم يكونوا . جملتهم . يخرجون على أئمة الجور الظلمة . وحسبك بالحجاج بن يوسف بقسوته وظلمه ومع هذا فلم يذكر عن أحد من الصحابة الخروج عليه ، بل كانوا يصلون خلفه ويغضون ما يأتي منه من المعاصي والظلم ؛ منهم : ابن عمر وابن عباس وأنس بن مالك ؛ حيث وجد البعض منهم محناً منه وتعتناً وظلماً .
♦ ذم الجدال والخصام في الدين ، وكثرة القيل والقال ، بدون طلب الحق ووجود الدليل . فعن أبي أمامة τ قال : قال رسول الله ρ : « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدال ثم قرأ : { مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ } » [الزخرف:58] رواه الحاكم وغيره(2).

وعلى هذا درج السلف ؛ فكانوا يحذرون من الجدال فيما لا ينفع أشد التحذير . وأيضاً في التحذير من أهله ، ومن ذوي الهوى المتبع ، والشح المطاع ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، كما صرح من حديث أبي ثعلبة الخشني τ .
فقد روى اللالكائي(3) . بسنده إلى علي بن أبي طالب أنه قال :

« إياكم والخصومة فإنها تمحق الدين » اهـ .

• وروي بنحوه عن ابن عباس والحسن بن علي ومحمد بن الحنفية والأحنف بن قيس والفضيل بن عياض ومسلم بن يسار وغيرهم كثيراً .
فالخصومات تمحق الدين وتثبت النفاق ، وهي ساعة جهل العالم التي يستسيغها الشيطان ، ليدرك بها هواه ويثيره على الباطل .

(1) رواه البخاري . في كتاب الفتن . باب قول النبي ρ : « سترون بعدي أموراً فتنكرونها » ، ومسلم

كتاب الإمارة . باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن 1849

(2) المستدرک 2/248 ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، ورواه ابن أبي عاصم في السنة رقم 101 ، والآجري في الشريعة ص 54 « ط المصرية »

(3) انظر رقم 224211 من شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ص 54 وما بعدها

. وروى الآجري في الشريعة ص56: بسنده عن معن بن عيسى قال:

« انصرف مالك بن أنس من المسجد وهو متكئ على يدي، فلحقه رجل يقال له: أبو الحورية. كان يُتهم بالإرجاء. فقال: يا عبد الله، اسمع مني شيئاً أكلمك به أحاجك، وأخبرك برأي، فقال مالك: فإن غلبتي. قال: إن غلبتك اتبعني. قال: فإن جاء رجل آخر فغلبنا. فقال أبو الحورية: نتبعه. فقال مالك: يا عبد الله بعث الله محمداً ρ بدين واحد وأراك تنتقل من دين إلى دين » اهـ.

وقال عمر بن عبد العزيز: « من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل » اهـ. (1).

نعم فقد كانوا رحمهم الله يدفعون المرء ما أمكنهم إلى ذلك سبيلاً.

. وروى اللالكائي كذلك بسنده عن عمر بن الخطاب τ قال:

« أيها الناس، إن هذا القرآن كلام الله γ فلا أعرفن ما عظمتوه على أهوائكم. فإن الإسلام قد خضعت له رقاب الناس فدخلوه طوعاً وكرهاً، وقد وُضعت لكم السنن فلم يُترك لأحد مثلاً، إلا أن يكفر عبداً عمداً عين، فاتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، اعملوا بحكمه وآمنوا بمتشابهه » اهـ. (2).

. وروى اللالكائي (3). بسنده عن إبراهيم النخعي قوله:

« لفتنه المرجئة أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة » اهـ.

. وقال الزهري. رحمه الله .:

« ما ابتدعت في الإسلام بدعة أضر على الملة من هذه. يعني المرجئة » اهـ. (4).

. وقال أيوب لسعيد بن جبير: لا تجالس المرجئة، ولما رآه مجالساً أحدهم نهاه (5).

(1) اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة رقم 1827

(2) . اللالكائي = شرح اعتقاد أهل السنة 60/1 . . ورواه ابن بطة العكبري في الرد على الجهمية من الإبانة الكبرى 249/1 (23)

(3) رقم 1086 وعبد الله بن أحمد 313/1 ، والآجري في الشريعة ص 143

(4) الشريعة للآجري ص 144

(5) اللالكائي رقم 1810 ، والشريعة ص 144

◆ وسئل ربيعة شيخ مالك عن قوله تعالى: { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } [طه:5] كيف استوى؟ , فأجاب: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول , ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق(1) « اهـ.

ومثله ما صحَّ عن مالك بن أنس إمام دار الهجرة أنه دخل عليه رجل في المسجد وهو يملي فيه حديث النبي ρ وقال: { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } كيف استوى؟ فأطرق مالك رأسه حتى علتة الرضاء أو غشي عليه, فلما أفاق قال: أين السائل, ثم قال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة, وما أراك إلا مبتدعاً , فأمر فأخرج من المسجد.

◆ وعن ابن الديلمى قال: وقع في نفسي شيء من القدر فأتيت أبي بن كعب فقلت له: يا أبا منذر ! إنه وقع في نفسي شيء من القدر , وقد خشيت أن يكون فيه هلاك ديني , فحدثني من ذلك بشيء لعل الله أن ينفعني.

فقال: « لو عذب الله أهل سمواته وأهل أرضه , لعذبهم وهو غير ظالم لهم , ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم, ولو كان لك مثل أحد ذهباً فأنفقته في سبيل الله, ما قبل الله منك حتى تؤمن بالقدر , وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك , فإنك إن مت على غير هذا دخلت النار. ولا عليك أن تأتي عبد الله بن مسعود فتسأله».

قال: فأتيته فأجاب مثله, ثم حذيفة بن اليمان فأجابني بمثلها , ثم زيد بن ثابت فقال: قال رسول الله ρ : « إن الله لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه » وسأقه (2).
 . وقال ابن مسعود: « ما كان كفرٌ بعد نبوة إلا كان معه التكذيب بالقدر » (3).

(1) رواه اللالكائي رقم 665 , وروى نحوه عن مالك 664-663.

(2) روى قطعة منه مسلم في أول صحيحه عن ابن عمر , ورواه أبو داود رقم 4699 , واللالكائي رقم 1093 , 1239 , والآجري ص 203.

(3) رواه الآجري في الشريعة ص 204.

. وقال ابن عباس : « القدر نظام التوحيد , فمن وحد الله ولم يؤمن بالقدر كان كفره بالقضاء , نقضاً للتوحيد , ومن وحد الله وآمن بالقدر كان العروة الوثقى لا انفصام لها »(1)

واشتهر قول عمر بن عبد العزيز في القدر ورسالته إلى سائله. وكذا قول الشعبي في مخازي الرافضة. وهذا قليل من كثير مما ورد عن القوم, وجمعه ومظنته كتب أصول السنة: كالسنة لابن أبي عاصم, وعبد الله بن أحمد, وكتب عثمان الدارمي, والشريعة للأجري, والإبانة لابن بطة, وشرح أصول السنن للالكائي, ومقدمة منهاج السنة النبوية لابن تيمية, وغيرها.

وفي الجملة فموقف السلف من البدع, في هذه النقاط مجملة:

1. جهادهم باللسان والسنان, كما وقع من الصحابة للخوارج ولغلاة الرافضة. وفي الجملة تنوعت موقفهم حسب كل عصر وما يناسبه, وحسب كل قضية وما يلازمها ويلابسها في الفكرة والواقع, بما يقطع شرها ويحد خطرها.

2. التحذير من المرء والجدل, وبيان الغلو وتوضيحه في المسائل العينية والتحذير من طوائفه.

3. النهي عن مخالطة أهل البدع والجلوس والحديث معهم.

4. هجر أهل البدع, وعدم نكاحهم والصلاة عليهم.

5. بيان خطرهم وعظم فتنتهم.

6. إلزامهم الحجّة بألفاظ قليلة الكلمات تحوي معاني عظيمة؛ وذلك فيمن كان

سائلاً مسترشداً.

هذا والله تعالى أعلم, وصلى الله على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.



المبحث الثالث: الوسطية وآثارها.

(1) رواه اللالكائي رقم 1224, والآجري في الشريعة 215. وأخرجه عبد الله بن أحمد في السنة, وابن بطة في القدر, والطبراني في الأوسط. وانظر المجمع 197/7.

مما سبق في القرآن الكريم يتبين منهج أهل السنة والجماعة, فهم وسيط بين الأمم, ووسط بين الفرق الغالية, ووسط بين المفرطين المتساهلين والمتشدددين, كما قال تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ } [البقرة:143]. وقال: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ } [الأنعام: 153].

قال ابن تيمية . رحمه الله . في الواسطية مقررًا هذا: بل هم الوسط في فرق الأمة كما أن الأمة هي الوسط في الأمم ؛ فهم وسط في باب صفات الله تعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة. وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية, وغيرهم, وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية وغيرهما, وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية, وفي باب أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج.

◆ وسبب هذه الوسطية المعتدلة:

هو تمسكهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفهمهما على فهم الصحابة على بصيرة وفقه وحكمة, ومن منطلقات مدلولات اللسان العربي الفصيح, فهم الذين كانوا وما زالوا على الجماعة: على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه.

ويدل لذلك أنهم لم يخالفوا ما في الكتاب والسنة أبداً. وإن وقعت خلافات هي قليلة لهم فيها العذر ؛ كما وقع الاختلاف في رؤية النبي ﷺ ربه ليلة المعراج وغيرها.

وهم الذي يزودون عن كتاب الله غلو الغالين وانحرافات المنحرفين.

وهم الذين يخدمون سنة رسوله ﷺ رواية ودراية بأفضل مقاييس القبول والرد . بما لا يُعرف عند من قبلهم ولا يكون فيمن بعدهم.

وهم على منهج واحد لم يتغير منذ حياة النبي ﷺ , وحتى لا يبقى على وجه الأرض مسلم يقول: الله الله.

ولا يزال متأخروهم يعتمدون أقوال علمائهم السابقين لهم, في تبين الألفاظ وتفسير النصوص, ما كان الدليل موافقاً لهم, ولم يردوا المعارض لأقوالهم بالدليل.

وأما غيرهم من أصحاب الفرق والنحل فلا يزالون في فرقة واختلاف, في مناهج وتطور أفكار ومعتقدات, ما يظن الباحث معه انفصال متأخري الفرقة والواحدة عن متقدميهم. كما أن بعض الفرق قد انقرضت كغلاة القدرية, حيث لم تستطع المواصلة أمام رفض العقول الصحيحة والنظر السليم لتلك المبادئ, فذهبت بذهاب أصحابها. كما أنهم الذين اعتبروا الإجماع مصدراً من مصادر الشريعة لأنه كان بمسند من كتاب أو سنة, ولم يُعرف إجماعهم على مخالفة نص أبداً.

وهم الذين اختارهم الله ليختتم بهم أديانه ورسالاته على الأرض, فرسالتهم ودينهم هي المناسبة لكل عصر ومصر: وزمان ومكان { **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** } [المائدة:3]. وقال: { **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** } [آل عمران:19] وقال: { **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** } [آل عمران:85].

وهم غير المغضوب عليهم من اليهود والضالين من النصارى , فدينهم دين السماحة واليسر وعدم الكلفة , الابتعاد عن المشقة.

وهم وسط في باب الصفات بين المعطلة والجهمية وبين المشبهة الممثلة المنتقصة لله Y من جهة أخرى.

فهم يشبتون لله صفاته على ما يليق بجلاله وعظمته , من غير أن يحرفوها عما وضعت له أو يمثلوا بها صفات المخلوقين , على حدّ قوله تعالى في سورة الشورى: { **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** } [الشورى:11].

وأن كل ما ثبت للمخلوق من كمال لا نقص فيه بوجه فله أكمله, وكل ما تنزه عنه المخلوق من نقص لا كمال فيه بوجه من الوجوه فالله أولى بالتنزه عنه.

وهم في ذلك بين اليهود المشبهة الخالق بصفات المخلوقين: كالفقير والتعب وال نصب...., والنصارى الواصفين المخلوقين بصفات الخالق, كما في عيسى ابن مريم وأمه عليهما السلام.

لهذا عبدوا إلهاً واحداً عرفوه بقدرته وعظمته, كما عرفوه بصفاته وأسمائه التي عرفهم بها في كتابه وعلى لسان رسوله p ؛ فلا يتكلمون إلا بما يرضى به ويحبه ؛ لأنه يسمع

كلامهم ولا يفعلون إلا ما يرضاه, ويتجنبون ما يسخطه لأنه يراهم. وأن قلوب الناس بين إصبعين من أصابعه تعالى قلبها كيف يشاء.

وهم يسألونه ويدعونه ويستغفرنه خاصة في آخر الليل, لأنه ينزل ليحيب دعاءهم ويعطي سائلهم ويغفر لمستغفرهم.

فكانوا بهذا أصلح الناس وأعبدهم لرهم, وحسبك بالصحابة ؛ فهم أولياء الله , يمشون على الأرض لما طبقوا عقائدهم في أفعالهم , فسادوا الدنيا بقلوبهم وأفعالهم قبل سيوفهم وقوتهم.

وهم بين الغلاة من: الروافض والباطنية والنصارى فيما يتعلق بالنبوة ؛ فلا يقولون بنوة إلا من نبأه الله وأوحى إليه , وآمنوا بكل ما جاء به نبي من الله مؤيداً بالدلائل كلها ؛ ليست المعجزات وحدها , ولا كل من أدها كانت له, وهم لا يرفعون الأنبياء . مهما كانوا . فوق منازلهم التي شرفهم الله بها , وهي العبودية والرسالة.

وبين اليهود والفلاسفة المخافين في حق الأنبياء , فظلموهم وقتلوهم وآذوهم. وهم يؤمنون بكل أنبياء الله قبل محمد ρ , ولا يفرقون بين أحد منهم ؛ لأنهم كلهم جاءوا بدعوة من مشكاة واحدة , وكلهم إخوة لعلاّت علموهم وعرفوهم بأسمائهم أو لا, ما دام ذكرهم الله في كتابه , أو أشار إليهم رسوله ρ .

وينكرون ويكذبون كل مدعٍ للنبوة بعد محمد ρ , ويعتقدون أنه كذاب دجال مُفتر على الله وعلى نفسه , وأنه ظالم لها بدعواه هذا , سواء كان هازلاً أو جاداً.

المبحث الرابع: أهم أساليب علاج الغلو.

وبعد فمن إتمام الكلام على الغلو , بعد ذكر أسبابه ومشكلاته وآثاره , أن أختتم ذلك بذكر بعض الأساليب المفيدة في علاج الغلو , في أي باب من أبواب الدين , وفي أي زمان من أزمنة الناس.

ولا يوجد علاجٌ جامعٌ مانعٌ شافٍ مُبرئٍ إلا:

أ . التمسك بالكتاب والسنة الصحيحة عملاً وقولاً واعتقاداً في شتى ميادين الحياة وعلى اختلاف أحوالها , على علم وهدى وبصيرة , لا بهوى وجهل , أو عدم اعتبار للقواعد الشرعية.

ب . سلوك منهج خير الناس وأفضلهم كما شهد لهم بذلك رسول الله ρ وعدم مفارقة الجماعة , وإحداث ما لم يأذن به الله في الدين , من البدع والمذاهب والجماعات .
فلا بد من تقرير هذين الأمرين العظيمين , والدندنة عليهما في شتى الميادين , والسعي إلى تحقيق ذلك في ميدان العمل والتطبيق ؛ ليحني الناس ثمارهما الطيبة.

◆ ومن الأساليب التي يمكن إيرادها في هذه المناسبة: الآتي:

1. رفع الجهل , وذلك بأحكام الشريعة الإسلامية والسنن النبوية , بطلب الحق والبصيرة في تلك الأحكام , وبتعلم العلم والعكوف عليه دراسة وحفظاً وفهماً ودعوةً وعملاً.

2. الحرص على سلامة المنهج المتبع لآثار السابقين الموافقة لقواعد الشريعة , والمحققة لمقاصدها وغايات أحكامها وشرائعها الكلية والتفصيلية , بعيداً عن النظرة الشخصية أو الطائفية الضيقة.

3. دعوة أولئك الذين يدخلون إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة وخفض الجانب لهم , حتى إذا كانت في نفوسهم مقاصد مكيدة فإنها تزول بإذن الله , واستخدام ما يمكن من الأساليب اللينة الحقة , حتى لو ظهر غلو , عسى أن يتركوه أو تكون مرحلة زلت فيها أقدامهم ؛ سرعان ما يرجعون ويثوبون عنها , لكن إذا لم يُجد العلاج باللين والحسن فأخر الدواء الكي ؛ لئلا يستفحل المرض في جسد الأمة وينتشر , وقطعاً للمرض , واستئصاله لمصلحة المريض وغيره.

وحبذا لو طبق هذا المنهج مع الشباب الذين لديهم نزعات غلو أو كانوا جماعات ...
مالم نحس الزيادة في الغلو , حتى لا يولد العنف تصلباً وزيادة غلو وتشدد وتمسك بالرأي (كما تعالج بعض الأنظمة الغلو والتطرف) !.

4. التربية الإيمانية الصحيحة على منهج القرآن , وبنبراس من تربية النبي ρ لأُمَّته وأصحابه على سبيل الخصوص ؛ حيث قضى عليه السلام على ما بدر من مظاهر الغلو

بأسلوب تربوي حقيق بأن يحتذى ويطبق , حتى صار الصحابة , ومن كانت منهم مظاهر الغلو , أمثلة يقتدى بهم , في العدل والإحسان والاعتدال والوسطية المأمور بها شرعاً .
التربية على منهج السماحة والمودة وخفض الجانب للمخالفين إلى حد معين , وإحسان الظن بالمخالف ما لم يصل الأمر إلى غير المرغوب فيه ما أمكن إلى ذلك سبيلاً .
التربية على التأدب مع الله ورسوله ﷺ ومع أصحابه وأهل العلم , تأدب التلميذ مع معلمه والطفل مع مربيه . يتأدب مع أهل العلم فلا يتجرأ عليهم ويماريهم أو يتناول عليهم ويباحثهم بالحسنى واللطف .

5. التحاكم في الأفكار والمناهج والأعمال إلى محكمة الكتاب والنسبة النبوية الصحيحة بفهم من لغة العرب وفهم الصحابة لهما .
وأن يكون الحوار الصادق الهادئ الناشد للحق تحت مظلة مصادر الشريعة الأصلية المتفق عليها عند المسلمين ؛ فينزع ما يتعلق به من هوى أو فكر أو آراء قبل دخول عتبة هذه الخيمة تجرد الله , وطلباً للحق ضالته المنشودة .

6. مجانية التعصب المذموم للآراء أو أقوال الأئمة , مهما علت ربتهم وارتفعت منزلتهم , ما لم يكن رسول الله ﷺ . بل يجب أن يكون المقصد هو طلب العلم والدليل السمعي الموافق للعقل الصحيح والفطرة المستقيمة ؛ إذ لا ينفكان عن بعضهما .
7. ترك الجرأة على العلم وتجاوز درجاته , والقفز إلى أعلى مراتبه , واعتبار فهم الصحابة وأقوالهم في تفسير النصوص , وفهوم العلماء , الراسخين بالفهم والرأي من الكتاب والسنة , والاستقلالية دون سابق علم وبصيرة من لغة عربية صحيحة مُدركة المقاصد والمعاني , وإحاطة بالعموميات من أصول الشريعة قبل خصوصياتها .

8 . قيام العلماء والأئمة بواجبهم في هذا الميدان , وبدورهم المطلوب منهم , برفعهم الجهل عن الناس , وأ ، يكونوا مصايح لهم في الدجى تهديهم إلى الطريق المعتدل السوي , وأن يكونوا قدوة لعامة الناس كحال العلماء المخلصين وترك ما يكون بينهم من خلافات شخصية أو طائفية , والنزول عند الحق مهما كان قائله , ومعاشرة الناس في واقعهم , وتلمس مشاكلهم وحاجاتهم .

ولن يتم هذا الأمر في الحقيقة إلا بتضافر الجهود بين الولاة والعلماء , إذ هما هنا كجناحي الطائر لسلامة الأمة وأمنها وعقيدها.

الفصل السابع: الجهود العلمية في المملكة العربية السعودية في مكافحة الغلو.

لقد بليت المملكة العربية السعودية منذ عدة عقود بآثار والتشدد في الدين من بعض أطراف المجتمع منذ عدة عقود, فبدءً من فتنة الإخوان والتي تكاملت في معركة السبلة في سنة (1347هـ) إلى حادثة الحرم من فعة غالية بدء عام (1400هـ) إلى هذه الحوادث بالقتل والتفجير والتكفير والتدمير من بعض الفئات الضالة , حتى أضحت بلاد الحرمين وقبلة المسلمين ومأوى قلوبهم ومنار هدايتهم تُصلى بنار الغلو والتشدد والتطرف وإرهاب الآمنين المعصومين في دمائهم وأعراضهم وأموالهم.

وقد تنوعت الجهود المبذولة على مختلف الأصعدة الرسمية والشعبية , والعامّة والخاصة في صدّ هذا الانحراف العقدي والفكري والسلوكي الخطير , ومن عدة جهات أمنية وعلمية واجتماعية واستراتيجية... وفي هذا المقام سأحاول إبراز الجهود العلمية المبذولة في هذا الاتجاه تنويهاً ورصدًا وتوجيهًا وعلاجًا.

أولاً: جهود هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

وقد سبقت هذه الجهة العلمية . وهي أكبر مستوى علمي ديني في البلاد . إلى التنديد بمثل تلكم الأعمال التخريبية , ونبذها , والتحذير منها من خلال البيانات والقرارات الصادرة عن هيئة كبار العلماء في دوراتها الاعتيادية والطارئة , بدءً من حادثة العليا في

عام(1416هـ) إلى الوقت الحاضر , وكذلك ما صدر عن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء , وعن سماحة مفتي عام المملكة وعن أعضاء هيئة كبار العلماء مجتمعين أو منفردين من الفتاوى والبيانات والأحكام العلمية والشرعية التي تدين تلكم الجرائم من تكفير وتفجير وتدمير وخطف للطائرات وهدر للطاقات وحجز للرهائن ... وتجرّم فاعلها وتبرئ الإسلام من تلكم التصرفات , منيطة ذلك بقواعد الشريعة في حفظ الضروريات الخمس: الدين والعقل والنفس والعرض والمال , وتعظيم الدماء والعهود , وتحريم الغدر والظلم , وكشف الشبه الزائفة في التكفير والتبديع والتفسيق.

ثانياً: جهود الجامعات والعلماء وأساتذة الجامعات.

وهم الصفوة بعد كبار العلماء ممن تناولوا هذه القضايا النازلة بالبحث والدراسة والغوص في الجذور والأسباب والنتائج وسبل العلاج من خلال:

1. البحوث العلمية المعمقة والمركزة في هذه الفتنة , وأسبابها وتأثيرها وعواقبها.
2. الأطاريح العليا في رسائل الماجستير والدكتوراة.
3. إقامة المؤتمرات العالمية العلمية , وعقد الندوات , وحلقات البحث والنقاش , العلمي المنهجي , لتعزيز مواجهة هذه الأغاليط , وكشف الفتنة , ومعالجة أسبابها وأثارها.
4. عقد البرامج الإعلامية الحوارية والإرشادية في وسائل الإعلام المتنوعة تحذيراً وإرشاداً.
5. صياغة المناهج الدراسية الدينية والتربوية والاجتماعية على أساس سماحة الإسلام واعتداله.
6. الأدوار الإرشادية وكشف الشبه والتوجيه , وبيان الغوائل والعواقب من قبل طلاب العلم والعلماء والباحثين.

ثالثاً: جهود وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ورئاسة الهيئات وأجهزة التوجيه.

وهي الجهات المسؤولة عن التوجيه والديني والإرشادي , إن على مستوى وزارات أو ضمنها , في معالجة هذه الظاهرة من خلال وسائل كثيرة وذلك بقيام المسجد بدوره من خلال الإمام وخطب الجمعة والمحاضرات والندوات العلمية والوعظية , ومن خلال توزيع الكتب والنشرات والتسجيلات ذات العلاقة , ومن خلال محاصرة هذا الفكر الدخيل

وتحجيمه ومحاربتة وعزله عن التأثير كذلك بإيجاد البرامج العلمية والدعوية والتربوية الموجهة إلى شغل الشباب عن هذه الفتن من خلال منح عدة , كمسابقات حفظ القرآن والسنة والنبوية , والمخيمات والمراكز الموسمية , والدورات العلمية والتوعية, والمعارض , وعرض الأخطار....

رابعاً: جهود وزارة الإعلام والثقافة

وذلك من خلال إذاعة القرآن الكريم بالخصوص , حيث تتولى التوجيه الديني تركيزاً ومعالجة لهذه الظواهر من خلال مشاركة أصحاب الفضيلة من العلماء والقضاة وأساتذة الجامعات وطلبة العلم , وذوي الخبرة.

ومن خلال أيضاً بقية الإذاعات والصحف والمجلات والبرامج التلفازية في القنوات , الأولى والثانية والإخبارية , حيث برزت معالجة هذه الحوادث من عدة زوايا دينية وعلمية اجتماعية وثقافية وتربوية , ومن خلال برامج حوارية وندوات وأحاديث وتوجيه وإن كانت في الحملة دون المستوى المطلوب والمأمول بالنظر إلى أثر الإعلام بمستوياته في التوجيه والتأثير والعلاج.

خامساً: جهود المؤسسات العلمية الخيرية:

وهي المؤسسات غير الربحية , التي لها جهود علمية خيرية في دعم البحث العلمي وحركة العلم والتوجيه والثقافة في المجتمعات , وفي بلادنا المملكة العربية السعودية ترث هذه الجمعيات الخيرية والمراكز البحثية والجهات العلمية التي تحضى بالباحثين العلماء , وتعنى بالبحوث والدراسات و لا سيما في النوازل التي تصيب المسلمين ومن ذلك الإرهاب المذموم الناشئ عن الغلو والتطرف والعنف الديني غير المبرر وغير المقبول. فقامت تلك المراكز والجمعيات بطرح الجوائز والمسابقات للباحثين العلماء ولعلاج هذه الظواهر.

والمقصود أن الجهود العلمية المبذولة في المملكة العربية السعودية في مكافحة الغلو والتشدد والعنف والإرهاب المذموم طالت أصعدة شتى وجهات حكومية ومؤسسية وشعبية عديدة من خلال التوجيه والإرشاد والتحذير من هذه العقيدة الضالة بهذا الفكر المنحرف عن الحق والعدل والقسط ووسطية الإسلام عقيدة وشريعة.

وأيضاً من خلال البحث عن الأسباب والجذور والبواعيث لهذه الأفكار وردود أفعالها !

ولكن الملاحظ أن المنحنى البارز في تركيز هاتيكم الجهود العلمية والدعوية المبذولة هو في الجانب الديني من خلال الوعظ ومن خلال الطرح العلمي والرصين المتميز , حيث ثقة الدولة والرعية والوافدين في الدين والعلماء ثقة قوية ومؤثرة وقد أمكن توظيف هذا الجانب بما عكس وحدة الصف من العلماء والمشايخ مع جهود الدولة في المملكة العربية السعودية في محاربة ومعالجة هذه الظواهر والله الحمد والمنة.

وثمة جهود مبذولة في العناية بالشباب . وهم عماد الأمة ومعقد الأمل . بالتوجيه والتحذير وراء المناهج الضالة سواء كانت مناهج غلو وتشدد يفضي إلى العنف والتكفير , أو مناهج انحراف وتحلل بنبذ الدين والاستقامة عليه , فهذان ضدان لا يجتمعان , ويجب من ناحية العدل والإنصاف ذمهما جميعاً.

كما أنه المأمول فيمن وقع من الشباب ضحية لمناهج الغلو والتكفير بالعناية بمعالجتهم المعالجة النافعة من حسن التعليم والتربية , وكشف الشبه وإيضاح الحقائق . الملبس عليهم فيها . تجاه دولتهم . المملكة العربية السعودية . وتجاه مواقفها وخصائصها الإسلامية والعلمية المميزة لها عن بقية دول المسلمين , وتجاه علمائها وقضاتها ومناهج تعليمها , وأحكامها القضائية الشرعية....

كذلك من الأسباب المؤثرة في هذا الجانب إبراز خصائص ومميزات المجتمع السعودي والذي تحكم دولة . لها راعية شرعية معتبرة . وترعى دعوة . إن إبراز هاتيكم الخصائص العامة والخاصة لهما يعطي الثقة وتحقق الاعتبار لهذه الدولة والدعوية , ومن أهم هذه الخصائص:

1. تحكيم الشريعة الإسلامية , والتحاكم إليها , حيث عمل القضاة والمحاكم الشرعية في الخصومات والحدود والجنايات وأحكام الأسرة والأحوال الشخصية .. هو بالأحكام الشرعية . وللنظر القضائي الحصانة والاختصاص عبر مجالسة المتعددة.

2. وشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معلن بها في هذه البلاد من خلال جهاز في مرتبة وزارة يقوم بهذا الواجب عن الأمة , امثالاً لقوله تعالى : { وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ

يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {
[آل عمران:104].

3 . وأيضاً مناهج التعليم الديني في التوحيد والفقہ والحديث والتفسير والسلوك . قائمة
على منهاج الاستقامة من دين الله , وعلى منهج الوسطية من سنة رسول الله ﷺ , فلم
ترب على الغلو والعنف والتشدد , وإنما شأها مكافحة ذلك بالعلم والبصيرة التي تدفع
الغلو والتشدد وتحذر منه .

الخاتمة :

وبعد , فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه , كما نحمده
سبحانه أن هدانا لدينه الإسلام الذي ارتضاه لنا ديناً وأتم به نعمته , فإنه الدين الوسط ,
وأهل هذا الدين هم الأمة الوسط وكما قال I في آية البقرة : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً
وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } [البقرة:143].

ووسطية هذه الأمة هو باعتدالها عقيدة وشرعية باعتصامها بكتاب ربها الذي هو
كلامه , وسنة نبيها ﷺ التي هي هدية , وسلوكهم سبيل أوليائه من المؤمنين الذي هم
أصالة أصحاب نبيه وتابعيهم ثم تابعيهم بإحسان رضي الله عنهم . كما قال سبحانه : {
وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا
تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } [النساء:115].

فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وفي ختام المطاف حول حقيقة
الغلو اللغوية والشرعية، وتاريخه ونشأته، ودواعيه وأسبابه، وما ورد من النصوص
والأدلة الشرعية في ذم الغلو والتحذير منه .

فقد تحصل أن الغلو في معناه اللغوي يدور حول تجاوز الحد وتعديه اتفاقاً وربما
أطلق عليه نقصاً بطرد: ((كلا طرفي الأمور ذميم)) .

أما الحقيقة الشرعية للغلو فهو مجاوزة الاعتدال والوسطية الشرعية في
الاعتقاد والقول والفعل، والغالب الأعم تناول الغلو لذوات المعظمين، وللمقالات
العقدية .

وبالمناسبة فلا تلازم بين الغلو والتطرف كما يطلق في بعض وسائل الإعلام وفي العبارات الصحفية غير المحررة؛ فإن الغلو في الواقع أخص من التطرف وهاهنا ملاحظة أخرى وهو أنه ربما يربط الغلو والتمسك بالشريعة، وهي نظرة قاصرة يتبناها المقصر والمتهاون في شعائر دينه تجاه من هو أمثل منه تمسكاً واحتراماً لأحكام دينه، وهذا ما يتردد على ألسنة بعض الساحة والإعلاميين مغالطة أو غفلة .

وبالنظر إلى تاريخ الغلو فهو قديم مرتبط بأسبابه الكثيرة والتي يجمعها الأعراض عن دين الله وما جاءت به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، فإنه بقدر ما ابتعد المرء عن منهج رسل الله بقدر ما وقع في الإفراط والتفريط، تناسباً طردياً، وما غلو الفرق الإسلامية في أبواب العقيدة أو الشريعة أو السلوك إلا نموذج واقعي لهذه النتيجة ومحققة لها . مما يحتم على المسلمين جماعات وأفراد التمسك بهديه ρ والاعتصام بما جاء به والتحاكم إليه والدعوة إليه فبذلك وحده تحصل لهم الهداية والعصمة، ويكونون شهداء على الناس.

وإن آثار الغلو في أصول الدين آثار وخيمة ، إنه في حق الله Y وجناب ذاته الكريمة أو في حق شرعه ودينه ورسله وأوليائه.

حتى غدت مسألة الغلو في الدين أصلاً وفرعاً ، أهم دواعي هدم الديانة وتفريق الأمة ، ووقوع التنازع ، وفشو الجهل والتنافر والفوضى في المجتمعات .

حتى غدا الاهتمام بعلاج ظواهر الغلو في الدين شغل المصلحين الشاغل واهتمامهم الكبير ، ولقد نال سلفنا الصالح من ذلك قصب السبقه وحدو بأنواع الأساليب الناجعة في علاج الغلو أنفع النتائج وأصلحها.

وكان مدار علاجهم لها بالعلم الموروث عن الله وعن رسوله ρ ، الذي علموا به الجاهل ، ونصروا به المتجاهل ، وفضحوا به المتعالم ، وكشفوا به الشبهة ، وأوضحوا به الحجة ، وأبانوا عن بيضاء المحجة ، فأعذروا إلى الله وإلى عباده ، فكان من استبصر

ببصيرتهم على منهاجهم سالماً معاني من خواطر الغلو وآثار السيئة حائزاً على سبق الهداية والرشد , سعيداً مطمئناً بإيمانه وعقيدته وديانته , وليس ذلك إلا للمؤمن.

وتبين لنا أيضاً الجهود العلمية المبذولة في المملكة العربية السعودية في مؤسساتها العلمية والرسمية والشعبية: في هيئة كبار العلماء , وجهود الجامعات الشرعية والعلماء والأساتذة , وجهود الوزارات ذات العلاقة ثم جهود المؤسسات العلمية الخيرية التي كرسَت أعمالها في مكافحة الغلو والإرهاب المذموم في جذوره ومظاهره وأسبابه ونتائجه فالحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

فهرس المحتوى

1 1. مقدمة
6 2. <u>الفصل الأول: حقيقة الغلو والإرهاب والتطرف والعنف</u>
6 3. المبحث الأول: معنى الغلو وحقيقته
9 4. المبحث الثاني: معنى الإرهاب وتحديد مصطلحه
10 5. تحديد مصطلح الإرهاب المعاصر
11 6. المبحث الثالث: معنى التطرف
12 7. المبحث الرابع: معنى العنف
12 8. المبحث الخامس: العلاقة بين الغلو والتطرف والإرهاب والعنف
13 9. المبحث السادس: الفرق بين الاستقامة وبين الإرهاب والتطرف
15 10. <u>الفصل الثاني: موقف الإسلام من الغلو والإرهاب المذموم ونحوهما</u>
21 11. <u>الفصل الثالث: جذور الغلو والإرهاب والتطرف والتاريخيه</u>
22 12. المبحث الأول: الغلو والتطرف الديني لدى اليونان
24 13. المبحث الثاني: الغلو والتطرف الديني لدى أهل الكتابين
27 14. <u>الفصل الرابع: جذور الغلو والتطرف وآثاره عند المسلمين</u>

15. المبحث الأول: علاقة نشأة الغلو بالديانات السابقة..... 27
16. المبحث الثاني: غلو الخوارج, وآثاره..... 31
17. المبحث الثالث: غلو المعتزلة وآثاره..... 35
18. المبحث الرابع: الغلو في مسألة الأسماء والأحكام..... 36
19. الفصل الخامس: أسباب الغلو والإرهاب المذموم..... 46
20. الفصل السادس: العلاج العقدي للغلو والإرهاب المذموم..... 49
21. المبحث الأول: آثار الغلو العملية ومنهج أهل السنة والجماعة في علاجها 49
22. أثر الغلو في الصفات..... 49
23. أثر الغلو في القضاء..... 50
24. وأهل السنة وسط بينهما..... 50
25. أثر العقيدة في الأشخاص..... 51
26. أثر الغلو في الاعتقاد بالنبوة..... 52
27. أثر الغلو في بغض الصحابة وتكفيرهم..... 52
28. أثر الغلو في الأسماء والأحكام..... 54
29. المبحث الثاني: نماذج من علاج السلف للغلو..... 57
30. المبحث الثالث: الوسطية وآثارها..... 61
31. المبحث الرابع: أهم أساليب علاج الغلو..... 64
32. الفصل السابع: الجهود العلمية في المملكة لمكافحة الغلو.....

67

31. جهود هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.. 67
32. جهود الجامعات والعلماء وأساتذة الجامعة..... 67
33. جهود وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ورئاسة الهيئات وأجهزة التوجيه..... 68
34. جهود وزارة الإعلام والثقافة..... 68
35. جهود المؤسسات العلمية الخيرية..... 69

.....الخاتمة	71
.....المحتوى	فهرس 73